

# القواعد والأسس

ـ التي ربي النبي ﷺ عليها الجيل الأول

للشيخ الشهيد د. عبد الله يوسف عزام

إعداد وترتيب  
د. أحمد سعيد عزام

الطبعة الثانية  
طبعة منقحة ومدققة  
1439هـ - 2017م

البرنامج الوطني لدار الكتب الفلسطينية  
بطاقة فهرسة أثناء النشر  
وزارة الثقافة – الإدارة العامة للمكتبات والمخطوطات

سعيد عزام ، أحمد .

القواعد والأسس التي رتبها النبي ﷺ عليها الجيل الأول.

أحمد سعيد عزام. - غزة، فلسطين، ديسمبر 2017.

(149) ص، 20\*14 سم

رقم الإيداع: 2017/726

جميع حقوق المؤلف محفوظة لدى دار الكتب الوطنية والمكتبات بوزارة  
الثقافة

رقم الإيداع: 2017/726م، بتاريخ 9 ربيع ثاني 1439 هـ - 27 ديسمبر  
2017م.

تنسيق وتصميم  
م. أحمد مصطفى أبو عجوة

## مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لا يستطيع أحد أن يحكم على ميدان إلا إذا ارتاده، ولا على شيء إلا إذا عرفه ولا على طعم إلا إذا ذاقه، وكثيراً ما يردد علماءنا مقالة (الحكم على الشيء فرع عن تصوره).

ولا زال كثير من الشباب الإسلامي بعيد عن التراث الفكري الجهادي والتربوي الذي خلفه الشهيد عبد الله عزام، وذلك يعود إلى أسباب يعرفها جل الناس، وليس هنا موضع ذكرها.

وكل من اطلع على كتب الشيخ الشهيد وقراها، أدرك أن فيها الكثير من التراث الفكري الجهادي والتربوي النافع للأجيال المجاهدة الحاضرة والقادمة، بل فيها من اللفقات والومضات الفكرية الجهادية التي لا نظن أحداً سبقه إليها، وذلك بسبب التجربة الجهادية الفريدة

التي عاشها بروحه وأعصابه وعقله وجسده، وقدم ذلك كله من أجل  
الفكرة التي آمن بها وعاش من أجلها.

وكان من الوفاء على أبناء الحركة الإسلامية - التي تربي الشيخ  
في أحضانها وبين روادها - أن يتبنوا استخراج هذه الكنوز التي  
يحتاجها الجيل في أي مواجهة مع الطواغيت في الأرض.

وإنه ليأخذك العجب كل مأخذ وأنت ترى الشباب - من شتى بقاع  
الأرض - يعرفون عن تراث الشيخ ويحفظون أسماء كتبه ومؤلفاته  
أضعاف ما يعرفه الذين عاشوا معه في فلسطين والأردن!! ولئن  
سألت بعضهم عن عدد هذه المؤلفات أجابك بلهجة مخجلة: أربعة  
أم خمسة؟!..!!

يا حسرة على العباد...!!! متى يعرف المسلمون رجالهم وروادهم  
وعظماءهم?!..!!

لقد نشر معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي تقريراً - بقلم  
الكاتب والمحلل الإسرائيلي (أساف مليح) وترجمه مركز عكا  
لمتابعة مستجدات الشأن الإسرائيلي - ذكر فيه الجانب الفكري

والحركي والأثر الذي تركه الشيخ عبد الله عزام في الحركات الإسلامية الجهادية في العالم الإسلامي، وفي هذا التقرير - من المعلومات عن شخصية الشهيد عزام والجانب الحركي عنده - أضعاف ما يعرفه أقرب الناس إليه ممن عاشوا معه في فلسطين والأردن!!!.

من أجل هذا كله كان الدافع إلى كتابة هذا الكتيب الصغير في حجمه، الكبير في مضمونه وموضوعه.

وقد جاء الكتاب بأسلوب الشيخ - تقريباً - ولم أدخل فيه شيء من عندي ولا من رأي الآخرين، وكل ما صنعته أي جمعته من ثنايا كتب الشيخ واختصرته ورتبته وبوبته ونسقته، وكنت حريصاً - قدر الإمكان - على المحافظة على عبارات الشهيد وأسلوبه الجذاب، إلا في مواضع اضطررت إلى ربط الفقرات والعبارات حتى تتساق مع السياق، ولا يضطرب الأسلوب حينئذ في ذهن القارئ الكريم(\*)

\* من نافلة القول أن نذكر القارئ الكريم بأن معظم كتب الشيخ هي عبارة عن خطب ودروس ومحاضرات كان يلقيها على تلاميذه، ثم قام مركز الشهيد عزام الإعلامي بتفريغها في كتب منسقة. ولذلك ستشعر باختلاف الأساليب في العبارات، ومن هنا اضطررنا إلى التدخل في صياغة وربط بعض الجمل والفقرات، بسبب الانتقال من أسلوب إلى أسلوب.

أو مواطن يتطلب فيها الاختصار مع المحافظة تماماً على المعنى الذي يريده الشيخ . كما أنني اضطررت -أحياناً- إلى تصحيح بعض الآثار أو الأحاديث التي ورد في ألفاظها أخطاء في النقل، وهي نادرة جداً.

وكلي أمل من الله سبحانه أن يكون لهذا الكتيب الأثر - الذي أحس به في أعماق قلبي - في ميدان تربية الشباب الإسلامي والجيل الذي ترقبه العيون والقلوب.

هذا، وبالله التوفيق.

معد الكتاب

د. أحمد سعيد عزام "أبو عبادة"

جنين - فلسطين

## تمهيد

## التربية النبوية للجيل الأول.

ونعني بالجيل الأول جيل الصحابة، والصحابي هو من لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً ومات على الإسلام، وقد أثنى رب العزة ورسوله الكريم على الصحابة كثيراً، ففي محكم التنزيل: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)) (الفتح: 29).

ورضي عن أصحاب بيعة الرضوان، بقوله تعالى: ((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)) (الفتح: 18). فالذين بايعوا بيعة الرضوان هم ألف وأربعمائة شخص، وهؤلاء بنص القرآن مرضي عنهم.

وتاب على الذين شهدوا غزوة تبوك بقوله تعالى: ((لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ)) (التوبة: 117).

فشهد القرآن - والقرآن قطعي الثبوت - للذين حضروا غزوة تبوك، فتاب الله عليهم، وهم ثلاثون ألفاً.

وفي الصحيح: [خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم]<sup>(1)</sup>.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري: [كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه]<sup>(2)</sup>.

ومعلوم أن خالداً صحابي، ولكن عبد الرحمن بن عوف متقدم عليه في الصحبة، وقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين شرف صحبة عبد الرحمن، وقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً يا خالد وأنت - صحابي - ما أدركته، مع أن خالداً أنفق من قبل الفتح وقاتل ... ((لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)) (الحديد: 10).

وفي صحيح مسلم عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة]<sup>(3)</sup>.

قال ابن مسعود: (إن الله قد نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء لنبيه).

قال ابن حجر: (أجمعت الأمة أن شرف الصحبة لا يعدله شيء). وقال أبو جعفر الطحاوي في عقيدته: (ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان).

هذه الصفوة الكريمة من البشر التي اختارها رب العزة لتأييد دينه ونصرة شريعته ((هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ)) (الأنفال: 62).

هذا الجيل الفريد والطرز الفذ في التاريخ البشري كله، كيف خرجوا وانبتقوا لأول مرة من بين دفتي كتاب؟! كيف ترجموا الآيات

إلى بشر، فتحوّلت الكلمات إلى أناسي من لحم ودم؟! لا تفرق  
واقعهم عن آي القرآن: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) (آل عمران: 110).

كيف تربيت حتى شبت ونضجت على أصلها الثابت الضارب في  
أعماق الأرض: ((أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا  
كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)) (إبراهيم: 24-25).

فما هي القواعد والأسس التي تربى عليها هذا الجيل، وأقيم  
عليها هذا البناء التربوي الضخم العجيب، ذا النسق الفريد؟

هذا ما نتعرف عليه من خلال الصفحات القادمة:

وقبل أن نشرع في تفصيل هذه الأسس أود أن أشير إلى فائدة  
معرفة هذا المنهاج النبوي في التربية:

لمعرفة هذا المنهاج فوائد جمة خاصة، لأولئك الذين يريدون أن  
يقيموا دين الله في الأرض، وينشئوا المجتمع المسلم في الحياة  
الواقعية بعد أن غاب عن الشهود والوجود.

## فوائد معرفة المنهج النبوي في التربية:

**الفائدة الأولى:** معرفة منهج التفكير الإسلامي في البناء، لأن منهج التفكير والحركة في إقامة الإسلام لا يقل قيمة ولا ضرورة عن المنهج الحيوي، ولا ينفصل عنه، فكما أن هذا الدين ذاته من عند الله فالطريق التي قام بها أول مرة كذلك من عند الله.

**الفائدة الثانية:** اقتفاء هذا الطريق الرباني لنصرة دين الله وتحكيم شريعته في الحياة، ومن أجل الثبات على هذا الطريق. ((وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)) (هود: 120)، ((أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَتْتَهُ)) (الأنعام: 90).

فهذا الطريق هو الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مرة حتى انتصر هذا الدين، ولن يقوم هذا الدين مرة أخرى في هذه الأرض إلا بهذا الطريق.

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - يجب أن يعرف أصحاب هذا الدين جيدا أنه كما أن هذا الدين في ذاته رباني فإن منهجه في العمل رباني كذلك، متواز مع طبيعته، وأنه لا يمكن فصل حقيقة هذا الدين عن منهجه في العمل، فإذا نحن عرفنا منهجه في العمل

فلنعرف أن هذا المنهج أصيل وليس منهج مرحلة ولا بيئة، ولا ظروف خاصة بمشاكل الجماعة المسلمة الأولى، إنما هو المنهج الذي لا يقوم بناء الدين في أي وقت إلا به.

إن التزام المنهج ضروري كالتزام النظام في كل حركة إسلامية.

**الفائدة الثالثة:** معرفة عظمة القائد المربي الذي طبق هذا المنهج، وعظمة الجنود الذين ترجموه.

فالرسول صلى الله عليه وسلم خرَّج في هذا الوقت القصير من الزمن جيلا فيهم القادة الأفذاذ، فالقادة العسكريون الذين رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر في عددهم من جميع القادة على مر التاريخ الإسلامي، وخرَّج جيلا من الولاة والسياسيين والإداريين والمربين والمعلمين والقضاة والحكام، ولو انفرد شخص من البشر في ناحية من هذه النواحي لسجل في عداد الخالدين، فكيف بمن جمع هذا كله؟ إنها عظمة النبوة حقا كما قال العباس رضي الله عنه.

والآن لنعد إلى الأسس التي أقام عليها صلى الله عليه وسلم هذا الصرح العظيم.

## الأسس والقواعد التي ربي النبي $\beta$ عليها الجيل الأول

- الأساس الأول: قصر التربية على المنهج الرباني.
- الأساس الثاني: تجريد الدعوة من المنافع الدنيوية.
- الأساس الثالث: الابتداء بالبناء العقدي للفئة المؤمنة، ثم البناء التشريعي.
- الأساس الرابع: تمثل التربية منذ اللحظة الأولى في تجمع حركي.
- الأساس الخامس: وضوح الرؤية وتميز الهدف دون اختلاط ولا لبس.
- الأساس السادس: بناء القاعدة الصلبة التي حملت البناء كله.
- الأساس السابع: وزن الأشخاص بالميزان الرباني (التقوى).
- الأساس الثامن: التربية من خلال الأحداث والحركة الواقعية.
- الأساس التاسع: الجهاد.
- الأساس العاشر: غرس الثقة بنصر الله في أعماق النفوس.
- الأساس الحادي عشر: الأسوة الحسنة والقيادة العملية بالتطبيق.
- الأساس الثاني عشر: الرفق والإشفاق دون العنت والإشفاق.
- الأساس الثالث عشر: بعد نظر قيادته  $\beta$  (خاصة عبر التنقل من مرحلة إلى مرحلة).
- الأساس الرابع عشر: تلقي الصحابة رضوان الله عليهم الأوامر للتنفيذ والامتثال.
- الأساس الخامس عشر: رابطة الأخوة والمحبة في الله (قاعدة الولاء والبراء).
- الأساس السادس عشر: الاستفادة من جميع الطاقات وتوجيهها.

## قصر التربية على المنهج الرباني

1

قال تعالى: ((لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) (آل عمران: 164).

فالكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة، وقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم التربية على القرآن والسنة كان مقصودا، فلقد غضب عندما رأى صحيفة من التوراة في يد عمر فقال: [ إنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني ].

ورواية الأمام أحمد: [ والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتهم، إنكم حظي من الأمم و أنا حظكم من النبيين ]<sup>(4)</sup>.

ولذا فقد حرص الإسلام على إقرار هذا المنهج الرباني في الأرض؛ ليقوم الناس بالقسط وإحقاق الحق بين الناس وغرس هذه القيم الإلهية في واقع الحياة الإنسانية ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)) (الحديد: 25).

فالغرض من النبوات هو إحقاق الحق بين الناس ونشر القسط بينهم، ولذا فنقد الأشخاص في دين الله وبيان هفواتهم أصغر بكثير من أن يتلم المنهاج أو أن ينحرف الطريق.

وعليه فلم يدع رب العزة حادثة عبوس الرسول صلى الله عليه وسلم في وجه عبد الله بن أم مكتوم الأعمى - وهو منشغل بدعوة العلية من سادة قريش - تمر هكذا، فعاتب حبيبه صلى الله عليه وسلم<sup>(5)</sup>. عتابا شديدا فأنزل سورة تحمل اسم (عبس)، وبلغ العتاب ذروته في كلمة (كلا) وهي كلمة زجر وردع.

ولقد أنزل رب العزة عشر آيات بينات في سورة النساء لتبرئة يهودي من سرقة درع اتهم به وإثبات التهمة عند أحد أبناء المدينة الذين يعلنون الإسلام وهو (طعمة بن أبيرق)<sup>(6)</sup>، وذلك لأن بقاء المنهاج واضحا سليما خير من بقاء ألوف يسكرون على منهج منحرف معوج.

ولذا فالقيادة في هذا الدين ربانية متمثلة في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، والمنهاج رباني متمثل بالكتاب والسنة، والوسيلة ربانية، فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية (أبا جندل بن سهيل بن عمرو) ولا (أبا بصير)<sup>(7)</sup>. بعد أن قدما إليه من مكة فارين من الاضطهاد والتعذيب، فأرجعهما إلى قريش، لأنه لا يريد أن يخفر ذمته، ولا أن ينقض عهده الذي أبرمه مع قريش واشترط لنفسه أن يرجع كل من قدم إليه منها.

وعلى أبناء الدعوة الإسلامية أن ينتبهوا كثيرا إلى قضية (ربانية أو شرعية الوسائل)، فكثيرا ما تسلك طرق معوجة، وأساليب ملتوية من أجل الغاية التي يرمون إليها، باسم مصلحة الدعوة، فقد يكذب الداعية من أجل مصلحة دعوته، وقد يظلم الناس إذا اختلف مع أبناء دعوته، وقد يزور من أجل تبرئة أبناء حركته... وهذا كله خطر وخطأ، لأنه انحراف بالمنهج عن القسط والعدل، وتضييع للحق ذاته.

إن مصلحة الدعوة الإسلامية أن يعبد الله بالدين الذي أنزله، أن يعبد الله بشريعته، وأن يقر العدل في الأرض ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)) (النساء: 135).

فإذا سئلت عن أحد أبناء دعوتك، وقد أكل الربا، فإذا تأكدت من هذا فلا تشغل نفسك بانتحال الأعذار وتأويل النصوص لتميع قضية تحريم الربا القطعية من أجل تبرئة هذا الداعية وهكذا(8).

## تجريد الدعوة من المنافع

2

## الدينية

الرسول جميعا صلوات الله وسلامه عليهم يعلنون هذا الشعار ((وَمَا  
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ))  
(الشعراء:127).

هذه الآية التي نادى بها الأنبياء جميعا عليهم الصلاة والسلام  
ونطق بها القرآن في سورة الشعراء ونوح وهود وصالح وشعيب  
عليهم الصلاة والسلام، إن النفس البشرية تشعر كثيرا باستعلائها  
على من تعطيها، واليد العليا خير من اليد السفلى...

والأنبياء والدعاة، يجب أن يترفعوا عن دنيا الناس حتى يتقبل  
الناس دعوتهم، ولذلك لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُمْتَنِي  
أحدا من أتباعه غرضا دنيويا، أو ثمرة قريبة لقاء دخوله الإسلام  
وإيمانه به. وكان عندما يمر على آل ياسر لا يملك إلا أن يقول:  
[صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة] (9).

ولذا فعندما عرض دعوته على بني عامر بن صعصعة قام إليه  
رجل منهم اسمه (بحيرة بن فراس) قال له: [أرأيت إن نحن بايعناك

على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أياكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: الأمر لله يضعه حيث يشاء] فأبوا عليه. في الوقت الذي كان بحاجة إلى نصره رجل واحد منهم.

ولم يكن رب العزة يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم أن هذا الدين سينتصر على يديه في حياته ((فَأَمَّا نَدَبْنَبَّ بِكَ فَأَنَا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (41) أَوْ نُرِيَّتِكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَأَنَا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ)) (الزخرف: 41-42).

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتقد أن هذا الدين سينتصر وإن طال المدى، وقال صلى الله عليه وسلم يوم بيعة العقبة الثانية للأنصار: [أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، قالوا فما لنا يا رسول الله إن وفينا بذلك؟ قال: الجنة، قالوا ربح البيع لا نقيلا ولا نستقيلا] (10).

وعلى الذين يعملون لإقامة حكم الله في الأرض أن يدركوا هذه القضية، بأن الدعوات لا يصلح لها إلا المتجردون، وإلا فإن الدعوة تتحول إلى سلم يتسلق عليه المنتفعون، ويتاجر به المتاجرون، وعليهم أن يدركوا أن مد أيديهم إلى أهل السلطان وذوي الثراء يسقطهم في أعين هؤلاء. ويسقط دعوتهم من قلوب السلاطين

والأغنياء، ويزرع بغضهم وبغض دعوتهم في قلوب الفقراء، ومن هنا كان يحرص المصلحون على البعد عن دنيا الحكام وذوي الجاه، فقالوا: شر العلماء أقربهم من الأمراء، وشر الأمراء أبعدهم عن العلماء، وكما قال ابن المبارك:

يا جاعل الدين له بازياً يصطاد به أموال السلاطين

فلما ابتلى الله عز وجل الصحابة رضوان الله عليهم فصبروا، وعلم الله منهم فراغ نفوسهم من حظ نفوسهم، وعلم أنهم لا يريدون جزءاً في هذه الأرض - كائناً ما كان حتى انتصر هذا الدين على أيديهم - علم أنهم أصبحوا أمناء على شريعته فمكّن لهم في الأرض، ووضع بين أيديهم تلك الأمانة الكبرى<sup>(11)</sup>.

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أن هذا الدين سيظهره الله في حياته وعلى يديه، بل كان ربه يخاطبه قائلاً: ((فَأَمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (41) أَوْ نُرِيَّتْكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَأِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ)) (الزخرف: 41-42) ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقد أن هذا الدين سينتصر، وكان لا يعد ولا يبايع أحداً من المسلمين إلا على الجنة، فقد قال هذا للمضطهدين المعذبين: صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة<sup>(12)</sup>.

3  
الابتداء بالبناء العقدي للفئة المؤمنة، ثم البناء

## التشريعي

لقد انفق القرآن المكي ثلاثة عشر عاماً يشرح (لا إله إلا الله)، يشرح العقيدة حتى تزرع في القلوب، وذلك لأن هذا الدين كله قائم على (لا إله إلا الله) وكل تشريعاته وتفصيلاته وأحكامه قائمة على قاعدة ألوهية الواحد فهذا الدين كالشجرة جذورها ضاربة في أعماق الأرض وفروعها باسقة في السماء، فإذا كان المجموع الخضري كبيراً فيجب أن تكون الجذور عميقة لتحتمل هذه الضخامة لهذه الشجرة، فيجب أن تكون جذور هذا الدين - أي (لا إله إلا الله) ونعني الإيمان - عميقة في القلوب حتى تحتمل شجرة الدين كله.

ولذلك إن الذين يظنون اليوم - وهم يدعون الناس إلى دين الله- أن عرض النظام الاقتصادي أو النظام الاجتماعي أو النظام السياسي أو النظام الأخلاقي على الناس يحببهم بدين الله ويدخلهم فيه، هؤلاء لا يفهمون طبيعة هذا الدين ولا يدركون ذاتية المنهج الذي يعمل به.

يجب أن نبدأ بالناس كل الناس - لا من تحبيهم بالفروع - إنما من غرس العقيدة في أعماقهم، وبعد أن تغرس العقيدة في أعماقهم يمكن أن يطبقوا لنا كل شيء، أما إذا تتبعناهم بحكم الصلاة، وحكم الوضوء، وبحقوق المرأة، وبالواجبات على الحاكم، وبالعدل، فإن المجال سيطول بك، وكل يوم يقدمون لك شبهة لترد عليها، وليست هذه الطريقة التي بدأ فيها هذا الدين، إن الذين يحاولون أن يجلبوا الناس إلى دين الله عن طريق تعريفهم بالنظام الاقتصادي أو النظام الاجتماعي قبل تعريفهم ب( لا إله إلا الله ) هؤلاء كالذين يزرعون البذور في الهواء وينتظرون منها أن تكون أشجارا في الهواء<sup>(13)</sup>.

وهذه العقيدة التي يجب أن تغرس في النفوس ابتداء وقبل كل شيء: هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات، بل حتى الخلجات التي تساور القلب والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس، والهواجس التي تمر في الخيال، هذه كلها تتوقف على الجهاز الحساس.

وباختصار: فالعقيدة هي دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فسادا كبيرا في التصرفات، وانفراجا هائلا عن سوي الصراط. ولذا فقد عني القرآن الكريم ببناء العقيدة، فلا تكاد تخلو آية — من السور المكية أو المدنية. من شد الإنسان بكليته إلى ربه، وربط كل تصرفاته بهذه العقيدة التي تمثل القاعدة الأساسية لهذا الدين الذي لا يقوم بدونها، وبخاصة السور المكية التي أفردت لبناء هذه العقيدة، فلقد كانت العقيدة هي الموضوع الوحيد الذي عالجه السور المكية.

وعلى هذا فإن كل الانحرافات التي نعانيها في سلوكنا — أفرادا أو جماعات. راجعة بكليتها إلى الانحراف في التصور العقدي. فالناس في هذه الأيام بحاجة إلى بناء العقيدة من جديد، وإلى تصحيح التصور الاعتقادي، فلا بد من أفراد الله سبحانه بالألوهية، ولا بد أن تستقر عظمة الله عز وجل في الأعماق، وأن يعمر النفوس حبه، ولا مناص من أن تحيا القلوب وهي تستشعر هيئته وجلاله.

ويقوم هذا الدين على:

1- حقيقة الألوهية.

## 2- حقيقة العبودية.

## 3- الصلة بين العبد وربيه.

هذه أمور ثلاثة لا بد من استقرارها في النفوس، معرفة الله وقدره، ومعرفة العبد وحده، والصلة بين الخالق والمخلوق. وعلى هذه فإنه من العبث تتبع فروع الشرع وطلبها من شخص لم ترسخ في قلبه حقيقة هذا الدين، ولم تستقر في كيانه عظمة الله التي تهيمن على كل سكرة ونأمة وحركة في هذا الكون.

والحق أن الناس اليوم غابت عنهم حقيقة هذا الدين العظيم، ومثل كثير منهم - حتى الذين يقيمون الشعائر التعبدية - كمثل الأعمى الذي أمسك بذنب الفيل ويحسب أنه يمسك بين يديه جسم الفيل، حتى إذا طلبت منه أن يصف لك الفيل انبرى يصوره بأنه شعرات مرتبطة بعضلة قاسية، ولو اجتمع أهل الأرض لإقناعه أن الفيل سوى ذلك ما استطاعوا أن يصرفوه عن ظنه.

وقد أصبح اليوم شيء مألوف أن نرى شخصا يداوم على العبادات وهو في نفس الوقت يزاول أعمالا تخرجه من إطار هذا

الدين، كالأستهزاء بسنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بفريضة وردت في محكم التنزيل، وهو لا يعلم أنه بالاستهزاء إنما يهزأ من أوامر الله سبحانه ويسخر منها، وهذا الذي انتق أهل الذكر من هذه الأمة عليه من ردة المستهزئ وخروجه من الإسلام. ومن هذا القبيل سب الدين أو سب الله والرسول، فمن فعلها حكم عليه بالردة.

كما غاب عن أذهانهم كذلك ما يترتب على هذه الكلمة من نتائج:

ومن نتائج كلمة الطعن في الدين وما يترتب عليها من بينونة زوجته منه رأساً -أي طلاقها-، واعتبار العقد مفسوخاً مباشرة، وخروجه من إطار الدين، وسقوط حجة الإسلام وحرمانه من الإرث من أقاربه المسلمين وحرمان أبنائه من الإرث منه، وغير ذلك من الأحكام خافية على معظم الناس.

أعود فأقرر الحقيقة الكبرى أن الناس لا يعرفون حقيقة هذا الدين، ويخلطون بين مناهج متعددة في حياتهم، قسم ضئيل من منهاج

حياتهم من دين الله، وأما معظم المنهاج فالذي يوجه حياتهم أهواءهم أو هوى غيرهم من البشر.

وعلى هذا فإني أرى أن التركيز على مسائل فرعية من الشريعة بالنسبة للناس أمر غير منطقي، بل محاولة عابثة لاستنبات البذور في الهواء، ولا يمكن أبداً بتجميع أغصان نضرة مع بعضها في الهواء أن يتكون منها شجرة ذات جذور ضاربة في أعماق الأرض.

لا بد من سلوك المنهاج الرباني الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لهذا الخلق، فلا بد من زرع البذور، ثم تعهدها حتى تستوي قائمة على أصولها، ثم تمتد بفروعها وأفنانها، وهكذا بالنسبة لهذا الدين العظيم، ولا بد من اقتفاء السبيل الذي رسمه الله لهذا الكائن حتى يحمل هذا الدين، ولا بد من بناء الأساس بغرس البذور في أعماق الأرض. أي غرس العقيدة في أعماق القلب.

والعقيدة هي الأساس المكين الذي ترتكز عليه فروع هذا الدين كله، ومن العبث محاولة إشادة بناء ضخم بلا أساس.

ومن هنا فإن محاولة تتبع فروع الشريعة بالتفصيل والتعليل هو اشتغال بالمهم قبل الأهم، ولا يمكن أن تؤدي هذه المحاولة أكلها التي نرجو، والثمار التي نأمل. ومن الأولى أن نتبع المنهاج الرباني في بناء هذا الدين للنفس البشرية، وذلك بترسيخ العقيدة أولاً في الأعماق، ثم مطالبة النفس بعدها بأوامر الشريعة كلها، إذ المنهاج الرباني في تربية النفس جزء من العقيدة ذاتها.

ولا ننسى أن الداعية إلى رب العالمين لا بد أن يتمثل فيه المنهاج الإلهي كاملاً، ولا بد أن يكون مصحفاً يمشي على الأرض، يتحرك فيتحرك القرآن، فالداعية يطالب بالشريعة كاملة، ولكنه في الوقت نفسه لا يطالب الناس بفروع الشريعة قبل أن يعلمهم هذا الدين، ويشد أنظارهم إلى إطاره الكامل الشامل، وبعد أن يرسموا في أذهانهم الصورة الكاملة للإطار، ويدخل معهم داخل الإطار ليعلمهم تفاصيل هذا الدين وتقريراته، وهكذا قام الإسلام أول مرة في النفوس البشرية، وهكذا يقوم في كل مرة يحاول بناء هذه النفوس بالإسلام، ولا مناص من اقتفاء هذا السبيل، ولا مفر من انتهاجه.

فكما أن هذه الأوامر والنواهي فريضة من عند الله، واتباعها فرض لازب في رقابنا، فكذلك اقتفاء المنهج الرباني في بناء النفس فرض كذلك، وكل محاولة لإقامة هذا الدين بغير المنهاج الرباني لا بد أن تبوء بالفشل، وذلك لأن الدين لا يكون ولن يكون إلا كما أراد الله، ولن يبنى إلا بنفس المنهج الذي رسمه رب العالمين، وكل منهاج بشري نستعمله لإيصال حقيقة هذا الدين إلى الناس هو فاشل لا محالة، وهو عبث وملهاة ولعب.

فلا بد من البدء بالعقيدة، من تعريف الناس بإلههم الحق، وبحقيقة وجودهم على هذه الأرض. والمهمة المنوطة بهم إبان مرورهم بهذه الدنيا، من المسؤول عنهم؟ وأي منهاج يجب أن يحكمهم؟ وصلة هذا الإنسان بالكون من حوله، ومكانة الكائن من الكون.

وبعبارة أقصر: إقرار جلال الله وهيبته وهيمنته في أعماق قلب الإنسان وطريقة الوصول إلى رضاه.

ومن ثم وفي هذا الوقت فإني لا أرى تتبع الجزئيات من هذا الدين في سلوك الناس، كالشرب باليمين، وترك التدخين، والشرب جالسا،

إلى غير ذلك من هذه التفاصيل التي لا تحتملها ولا تطيق الدوام عليها إلا نفوس بنيت على العقيدة، وجبلت بعظمة الإيمان.

لا بد أن نبدأ مع النفس البشرية من حيث هي، بحيث نلتقطها من هذا الحضيض الذي هبطت إليه، ثم نسير معها صعدا نعطيها الإيمان جرعة جرعة، نواكبها في نموها ونقيل لها عثراتها، ونردها من هنا، ونهذبها من هناك، حتى تشب قائمة على عودها، صلبة لا تهزها الزلازل، ثابتة لا تجتثها الأعاصير.

وهنا فقط نطلب منها كل ما يريده الله منها، فنتغذ وهي راضية مستسلمة مطمئنة، أن الخير كله فيما نفذت، لأن الخير كله منحصر في منهاج الله، والشر كل الشر في الخروج عن منهاج الله ((فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)) (طه: 123-124).

وعقيدة الإيمان بالأركان الستة، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم سئل [ ... يا رسول الله ما الإيمان؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ].

والعقيدة لغة فعلية: من عقد بمعنى معقودة (بمعنى اسم المفعول) عقد الحبل والبيع والعهد يعقده، شده. والعقد: العهد<sup>(14)</sup>، فإن العقيدة هي العهد المشدود والعروة الوثقى، وذلك لاستقرارها في القلوب ورسوخها في الأعماق.

أما الشهادتان (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فهما القاعدة الأساسية الأولى التي يقوم عليه صرح هذا الدين، وهو الطريق الوحيد الذي يوصل سالكه دار السلام.

((قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) (المائدة: 15-16).

وهذه القاعدة (لا إله إلا الله) تعني في أبسط صورها أن هذا الكون منبثق عن إرادة هذا الإله الواحد، بأمره يسير، وبقدره تدبر أموره، وكل خلق من مخلوقاته أمره بيده، لا يخرج عن إرادته، ولا يند عن

مشيئته ((قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى))  
(طه: 50)، ((سَبَّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2)  
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى)) (الأعلى: 1-3).

فهذه نقطة أولى لا تغيب عن بالنا، أن كل شيء في الكون صنع  
بيد الله العزيز الحكيم. ((الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ  
الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ)) (السجدة: 7).

وأما النقطة الثانية: فهي أن كل مخلوق في هذا الكون جندي من  
جنود الله، يؤمر فيطيع ويذع فيلبي ((أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ  
أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ))  
(آل عمران: 83).

وأما الثالثة: فقد يسخر الله بعض جنوده لطاعة عبد من عبده  
((وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ  
وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا  
نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ)) (سبأ: 12).

**وأما الرابعة:** فكل كائن من مخلوقات الله له منهاج رباني يسير عليه لا يستطيع الخروج عنه قيد أنملة ولا شعرة. فالشمس لا يمكنها أن تخرج عن المدار الذي أمرها الله أن تدور فيه، ولو خرجت زاوية واحدة عن محورها لتحطمت وحطمت الكثير، وكذلك القمر والأرض. وهذا هو ناموس الله في هذا الكون لكل خلق عدا الثقلين (الإنس والجن).

وقد تتجلى مظاهر هذه العبودية أحيانا لعبد من عبيد الله بإرادة الحاكم الأمر، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: [إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، وإني لأعرفه الآن](15).

هذا وقد يكشف الله طرفا من هذه العبودية لغير الأنبياء، كما ثبت من كرامات السلف ومن بعدهم.

**ثانياً:** وأما الإيمان بالملائكة فهو جزء من عقيدتنا، ويخبرنا القرآن أن الملائكة موكلون بحفظ البشر وحمايتهم، وهم مكلفون بإحصاء

أعمالهم وتسجيلها ((إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)) (الطارق: 4)،  
((مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)) (ق: 18).

**ثالثاً:** وأما الإيمان بالكتب السماوية فهو جزء من العقيدة، الإيمان بصحف إبراهيم والتوراة المنزلة على سيدنا موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، والقرآن على سيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين. هذا مع الانتباه إلى مسألتين:

أ- نحن نؤمن أن هذه الكتب بأصلها من عند الله، إلا أن يد البشر امتدت إليها تعبت وتحرف وتؤول وتغير، كما أخبرنا القرآن الكريم عن أهل الكتاب ((فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)) (البقرة: 79).

ب- وأما المسألة الثانية فهي أن القرآن هو المنهاج الرباني الأخير للبشر، وهو آخر أمر يسأل الله عنه البشر يوم القيامة، فنزل القرآن ناسخاً لما قبله، مهيمناً على ما قبله من الكتب ((وَأَنْزَلْنَا

إِنَّكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ))  
(المائدة: 48).

**رابعاً:** وأما الإيمان بالرسول، فالعقيدة الإسلامية تعتبر الإيمان بكل رسول مرسل هو جزء منها، بحيث يعتبر من جحد رسالة أي رسول خارجاً من إطار هذا الدين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً؟

(( أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ )) (البقرة: 285).

**خامساً:** وأما الإيمان باليوم الآخر، فهو كذلك من القواعد المكيئة في هذا الدين، ويكون حجر الأساس في كل دين نزل من عند رب العالمين ((الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا)) (البقرة: 62). فالإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح هذه القاعدة بأركانها الثلاثة هي عماد كل دين.

وهذا الدين الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم يعتبر أن الحياة جسر إلى الآخرة، وأن الإنسان يمر بأطوار ومراحل، فمن رحم الأم إلى هذه الأرض إلى القبر، فالبعث فالحشر.

والرزق محدود مع العلم القطعي أن الله عز وجل بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله، وله من في السماوات ومن في الأرض، وأنه إليه ترجع الأمور.

والحق أن الإيمان بالآخرة هو صمام الأمان في هذه الأرض، وهو الضابط الوثيق الذي يحرس الأخلاق، والحرس الأمين الذي يضمن تنفيذ الشريعة في هذه الدنيا. ((وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (13) أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)) (الإسراء: 13-14).

**سادساً:** وأما القدر، فهو المحرك الأصيل للنفس البشرية، وهو الدافع الحقيقي للعمل في ميدان الحياة، وأول ما يطالعا من نصوص القدر الرزق والأجل، فقد ذكرت في أكثر من موضع في الكتاب العزيز، مع إقرار أنها ثابتة ومحددة، ولا يغادر المرء هذه

الأرض قبل أن ينال كل رزقه ويستنفد جميع أجله، فلن يموت إلا بقدر، ولن يستطيع أحد أن ينقص من رزقه قرشاً واحداً مهما علا جاهه وعظم سلطانه. ((وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (الأنعام: 17).

وفي الحديث: [ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف ] (16).

والأجل محدود والرزق محدود، مع العلم القطعي أن الله عز وجل بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله، وله من في السماوات ومن في الأرض، وأنه إليه ترجع الأمور.

هذه الأمور كلها كانت تدفع بأحدهم في أتون المعركة، تاركاً وراءه أهله دون معيل ولا كفيل إلا الله، وحسبك كلمة أبي بكر الصديق يوم تبوك، إذ جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بجميع

ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ماذا تركت لأهلك؟  
فقال: تركت لهم الله ورسوله)!!.

ولذا فإننا نرى أن آيات العقيدة جاءت منبثة في معرض آيات القتال والجهاد، خاصة الآيات التي تقرر أن الحياة والموت بيد الله ((وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)) (آل عمران: 145).

إن استقرار هذه العقيدة في أعماق النفس يجعلها عزيزة فلا تذلل، تقف أمام كل قوى الأرض، لا ترهب سلطاناً ولا تستخذي أمام صولة الملك وإغراء المال، هذه العقيدة ترفع صاحبها من أحوال الأرض ومستنقع الطين، فيقف في المرتقى السامي ينظر إلى الأرض من علو مع التواضع، وبالعزة مع المحبة والتطامن، دون استطالة ولابغي على الناس، يود لو يرفعهم إلى المستوى الذي رفعه الله إليه.

بهذه العقيدة أضحى الرعيل الأول من الصحب الكرام يعيشون بحسهم وأرواحهم في الآخرة، مع أن أجسادهم تدب على الأرض، هم يتحركون فوق المعمورة، مع أن أنظارهم مشدودة بقوة إلى الجنة.

روى الطبراني بإسناده عن الحارث ابن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: [ كيف أصبحت يا حارثة؟ فقال: أصبحت مؤمناً بالله حقاً، قال: انظر ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، فقال: يا حارثة: عرفت فالزم . ثلاثاً . ] (17).

تمثل التربية منذ اللحظة الأولى في تجمع

4

حركي

لا بد أن يكون تجمع حركي إسلامي له قيادة وله مبادئ يقابل التجمع الجاهلي بشقيه النظري والعملي، ولا بد أن يسبق التجمع الإسلامي الحركي الحركة الجهادية، وكل جهاد أو حركة جهادية لا يكون قبلها تجمع إسلامي حركي مقدور عليها بالفشل، محصودة ثمارها بأيدي أعداء الإسلام.

فلا بد من وجود حركة إسلامية فعلية، ولها قيادتها ولها مبادئها، تواجه الجاهلية أولاً بالبيان والحجة ثم بعد ذلك تمتشق حسامها وتستل سنانها وتواجه أعداءها (18).

## ومن الأدلة على وجوب العمل في جماعة:

أ- قوله تعالى: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا)) (آل عمران:103) وحبل الله هنا هو القرآن الكريم، ورواه علي وأبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن مجاهد وقتادة<sup>(19)</sup> مثل ذلك، وروي عن ابن مسعود أنه قال: هو ( الجماعة )، قال القرطبي<sup>(20)</sup> والمعنى متقارب متداخل، فإن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة، قال الجصاص<sup>(21)</sup> هو أمر بالاجتماع ونهي عن الفرقة الذي أمروا جميعا بلزومه والاجتماع عليه.

ب- قوله تعالى: ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) (المائدة: 2)، قال ابن كثير<sup>(22)</sup>: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر وترك المنكرات وهو التقوى، والتقوى هو اتقاء ما أمر الله به باتقائه واجتنابه من معاصيه، وعلى هذا فقد أمر الله بالتعاون على أمر دينه والأمر للوجوب، وأي بر وأي خير أعظم من إقامة المجتمع المسلم الذي يقيم شريعة الله جميعا ويحيا من

أجلها. وأي شر وأي إثم أعظم من أن يترك دين الله نهبةً للناهبين، وحمى مستباحاً لكل ظالم وطاغية.

إن ترك التعاون لإعادة دين الله إلى الوجود هو أكبر جريمة يرتكبها الناكسون على أعقابهم المتقاعسون عن النفير لبناء هذا الدين من جديد. وهذا أبو حنيفة يؤكد على ضرورة العمل الجماعي، قال ابن المبارك: لما بلغ أبا حنيفة قتل إبراهيم الصانع بكى حتى ظننا أنه سيموت، فخلوت به فقال: كان والله رجلاً عاقلاً، ولقد كنت أخاف عليه هذا الأمر، قلت وكيف كان سببه؟ قال سألتني عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن اتقنا أنه فريضة من الله تعالى، فقال لي مد يدك حتى أبايعك، فأظلمت الدنيا بيني وبينه، فقلت: ولم؟ قال: دعاني إلى حق من حقوق الله تعالى فامتنعت عليه وقلت له: إن قام رجل وحده قتل ولم يصلح للناس أمر، ولكن إن وجد عليه أعواناً صالحين ورجلاً يرأس عليهم مأمونا على دين الله لا يحول... وهذا الأمر لا يصلح بواحد، ما أطاقه الأنبياء حتى عقدت عليه من السماء، وهذه فريضة ليست كسائر الفرائض، لأن سائر الفرائض يقوم بها الرجل وحده، وهذا متى أمر

به الرجل وحده أشاط بدمه وعرض نفسه للقتل، فأخاف عليه أن يعين على قتل نفسه، وإذا قتل الرجل لم يجترئ غيره أن يعرض نفسه، ولكنه ينتظر.

وأما العزلة فإنما تكون في المجتمع الجاهلي عزلة شعورية فقط، ولا يمكن أن تتم العزلة بادئ ذي بدء بالنسبة للدعوة، وأما العزلة العملية فإنها لا تتم إلا بعد قيام المجتمع المسلم الذي تهيمن عليه شريعة الله، وينفذ فيه حكمه وسلطانه، وهنا تكون المفاصلة العملية، ولو فكرت الدعوة في مراحلها الأولى أن تعتزل وتعيش في الصحاري والكهوف فإن هذا يؤدي إلى تجميد الدعوة وبعدها عن الناس الذين يمثلون المادة الخام للدعوة الإسلامية، ولهذا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقي في مكة ولم يسكن في كهف من الكهوف في جبال مكة، ولم يترك مكة لطواغيت الكفر، بل بقي يبلغ الدعوة ويصلي صلاته في فناء الكعبة، التي يحيط بها وبداخلها 360 صنماً.

إن الخروج من المجتمع الجاهلي والفرار منه أمر أسهل على  
الداعية من القضاء بين عتاة الكفر الذين قدت قلوبهم من  
صخر (23).

## وضوح الرؤية وتميز الهدف دون اختلاط

ولا لبس

ولذلك عندما عرضوا عليه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة، قال لهم: ((قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)) (الكافرون: 1-2)، وقال له ربه: ((فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)) (غافر: 14).

يجب أن نعلن هدفنا منذ اليوم الأول... لا يجوز أن نختبئ تحت رايات قومية من أجل أن نبلغ ديننا، ولا نختبئ داخل حزب البعث - مثلا - لننفع ديننا، ولا أن ندخل التنظيم الاشتراكي لكي نبلغ دعوتنا، ولا أن ندخل مؤسسات أرضية ظنا منا أننا بإمكاننا من هذا الطريق أن نخدم الدين ونقيمه.

إن اختلاط الهدف منذ أول يوم سيضيع علينا الطريق، وسيضيع الناس ولا يعرف الناس ماذا يتبعون، ولذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلنها منذ أول يوم... ((اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)) (الأعراف: 59)، وبقي يحث على انفراد الناس في شعورهم - عزلتهم الشعورية والنفسية - منذ أول لحظة حتى لقي ربه، بقي

يحث على عدم التشبه بالكفار، وقال: [ من تشبهه بقوم فهو منهم ](24).

لا بد من الوضوح والصرحة في إعلان المبادئ، وعندما سئل سيد قطب: لماذا كنت صريحاً كل الصراحة في المحكمة التي تملك عنقك؟! فقال: لأن التورية لا تجوز في العقيدة، ولأنه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص، ويقول سيد في كتابه (معالم في الطريق ص 206) (لن نتدسس إلى الناس بالإسلام تدسماً، ولن نربت على شهواتهم وتصوراتهم المنحرفة، سنكون معهم صرحاء غاية الصراحة، هذه الجاهلية التي أنتم فيها خبث، والله يريد أن يطيبكم) وعندما عرضت عليه الوزارة وهو وراء القضبان قال: إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفاً واحداً يقر به حكم طاغية(25).

وعندما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط - الشجرة التي كان يعلق عليها الجاهليون السلاح - غضب صلى الله عليه وسلم وقال: إنها السنن: لتتبعن

سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب  
لدخلموه(26).

ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التشبه باليهود  
والنصارى والكفار في العبادة وفي الملابس والمراكب، وإن شئت  
فاقرأ كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم)  
للإمام ابن تيمية.

فالأمة الإسلامية حدد لها الله عز وجل مقوماتها وجعلها فريدة،  
جعل جنسيتها عقيدتها... ووطنها دار إسلامها... وحاكمها ربها...  
ودستورها قرآنها... هذا التصور الرفيع للدار وللجنسية وللقرابة هو  
الذي ينبغي أن يسيطر على قلوب الدعاة إلى الله، والذي ينبغي أن  
يكون من الوضوح بحيث لا تختلط به أوضاع الجاهلية، ولا تتسرب  
إليه صور الشرك الخفية، الشرك بالأرض.

والشرك بالجنس... والشرك بالنسب... والشرك بالمنافع الصغيرة  
القريبة... وأعلنها صلى الله عليه وسلم بقوله عن القومية دعوها  
فإنها منتنة [ بهذا اللفظ الذي يفوح منه رائحة الاشمزاز والتقرز،

وقال لهؤلاء الذين يعبثون بهذا النتن: [ لينتهين قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعل ].

والجعل: هو الصرصور الصغير وبدون جلد - يعني أصغر من صرصور - أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده يعني يحرك - يدهده الخرز بأنفه يعني البعثيين والقوميين وغيرهم فيشبههم بالصراصير يعبثون في مزيلة القومية... (27).

ونقولها - بوضوح - إن الذين يتجمعون تحت شعارات غير إسلامية وينافحون عنها يخرجون من دين الله وهم لا يعلمون، فإن وقف من يدعي الإسلام مع هذه الشعارات - أيًا كانت وتحت أي اسم كان - وناجح عنها ودافع عنها فإنه يخرج من دين الله!!.

من هنا لا يمكن لمن يؤمن بعقيدة الولاء والبراء أن يدخل في حزب قومي كالقوميين العرب، ولو كان قاداته من المتمسكين، فكيف إذا كانوا نصارى!!؟

ولا يمكن أبداً لمن يؤمن بعقيدة الولاء والبراء أن ينطوي في سلك الماسونية أو أن يكون جاسوساً للمخابرات الأمريكية أو الروسية، أو

أن يكون مخابرات لجهة تحارب الإسلام، أو مخابرات لطاغوت  
يكيد للحق ويحارب أهله وأولياء الله، ويوالي الشيطان في كل  
مكان (28).

ويجب أن نكون واضحين كل الوضوح في قضية الحكم والتحاكم  
إلى شرع الله الذي يملك العلاج الوحيد لما تعانیه البشرية، وأنه ليس  
نافلة ولا تطوعاً، إنما هو الإيمان، ولا إيمان مع غيابه.

وهذه القاعدة (قاعدة التحاكم إلى كتاب الله) التي لا يكون بدونها  
إيمان ولا إسلام، وهي وظيفة المسلم الأساسية في كل زمان. وكتب  
الأصول تفتح (باب الحكم والحاكم) بأن الحاكم هو الله وحده،  
والرسول صلى الله عليه وسلم إنما يحكم بما أنزل الله إليه، سواء  
كان وحياً متلوّاً (القرآن الكريم) أو وحياً غير متلو وهو (السنة  
النبوية الشريفة)، والخليفة في الشريعة الإسلامية مفوض من قبل  
الأمة التي تختاره لتنفيذ الشريعة الإلهية، ولا يحق له أبداً أن يضع  
شيئاً يصطدم مع هذه الشريعة، والعلماء هم مجتهدون بالنظر في  
النصوص الإلهية لمحاولة معرفة الحكم الرباني في المشاكل التي  
تقع أو تواجه المسلمين في حياتهم اليومية.

والحكم من الله (الحكم) هو اسم من أسمائه، وصفة من صفاته، فمن ادعى الحق بالتشريع بما يريد إنما يدعي الألوهية عملاً، ويزاولها سلوكاً، وإن كان لا ينطق بها لفظاً، وسواء كان هذا المدعي هو طبقة من الشعب أو الشعب كله أو حزب أو منظمة أو هيئة أو فرد، فالنتيجة واحدة، وهي انتزاع حق الله في التشريع للناس، وهذا شرك يخرج أصحابه من دين الله.

إن التحاكم إلى الكتاب والسنة هو الإسلام فحسب، ولهذا فالتحاكم إلى كلام البشر عن رضى وطواعية هو خلع لربقة الإسلام من الأعناق، فكل من رضى بترك كلام الله وبتحكيم كلام غيره أو تقديم كلام أي بشر على القرآن والسنة فلا حظ له في دين الإسلام، وهذا هو الكفر بعينه لا غبش فيه ولا لبس ولا خفاء.

والطاغوت هو الطاغوت، عربياً كان أو أمريكياً أو أفغانياً أو روسيا، فالكفر ملة واحدة، والذين يشرعون بغير ما أنزل الله كفار وإن صلوا وصاموا وأقاموا الشعائر الدينية، والقانون الذي يحكم في الأعراض والدماء والأموال هو الذي يحدد هوية الحاكم من حيث الكفر والإيمان. وطاعة التشريع البشري الوضعي - مع الرضا القلبي بها - يخرج صاحبه من الملة.

وما كان يدور بخلد الصحابة أن إنسانا يؤمن بالله ربا وبمحمد رسولا ويضع القرآن جانبا ويرتضي بعد ذلك حكم البشر، وعندما كانوا يمرون على قوله تعالى: ((وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) (المائدة: 44).

ما كان يدور بخلد هم أن مسلما يؤمن بالله ورسوله ثم يقصي شرعه عن منصة الحكم، ولذلك عندما نقرأ في التفسير نجد كلام ابن عباس أو ابن مسعود أو حذيفة أو غيرهم رضي الله عنهم عند تفسيرهم لمثل هذه الآيات في كتاب الله يصرفونها للقاضي الذي يجور في الحكم. أما أن ينفي شرع الله من الحكم بالكلية ويحكم في دماء الناس وأعراضهم وأموالهم قوانين جون وأنطون ونابليون وغيرهم ثم يبقى يدعي الإسلام، فهذا لم يمر في ذاكرة الصحابة أبدا.

بهذا الوضوح وبهذه الصراحة نصرح كما صرح من قبلنا من العلماء في العصر الحاضر، منهم المحدث أحمد شاکر وأخوه محمود شاکر فقالا: إن العمل بالقوانين الوضعية كفر بواح، لا خفاء فيه ولا مداورة، وإن ولاية القضاء في ظل القوانين الوضعية باطله بطلانا أصليا لا تلحقه إجازة ولا تصحيح<sup>(29)</sup>.

## بناء القاعدة الصلبة التي حملت البناء كله

6

هذه القاعدة الصلبة التي حرص الرسول صلى الله عليه وسلم عليها طويلاً، وخرجت هذه النماذج أمثال أبي بكر وعمر وعثمان ومصعب وحمة، هذه القاعدة الصلبة التي أقامها في المدينة المنورة هي التي أرجعت كل الجزيرة العربية إلى الإسلام بعد الردة، لأن القاعدة كانت ثابتة صلبة.

هذه القاعدة التي خرّجت أمثال (أبي بكر) الذي وقف يوم الردة يقول: (والله لو منعوني عناقاً - سخلاً صغيراً - وفي رواية عقلاً - يعني رباط ناقة - كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه أو أهلك دونه)، وعندما راودوه أن يتريث قال: (والله لو دخلت السباع المدينة، وجرت أرجل نساء النبي صلى الله عليه وسلم من حجراتهن ما ترددت ولا توقفت).

هذه القاعدة الصلبة كيف بنيت؟! وهذه النماذج الرفيعة كيف بنيت؟! لأن البناء الضخم كله يقوم على أعمدة، ومن هنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهتم ببناء هذه الأعمدة.

بناها أولاً بطول الاحتضان: ويجب أن نفهم طول احتضان القائد للجنود الذين حوله، فمن دار الأرقم التي كان يقضي فيها معظم وقته ليربي هذه الصفوة المباركة، ثم الهجرة، وقد أمر كل مؤمن أن يهاجر معه ليبقى حوله يتلقى ويتربى، وعندما جاءه أعرابي اشترط عليه وبإيعه أن يبقى — وكان يبايع الناس بعد الهجرة على أن يبقوا في المدينة— فبايعه أعرابي على البقاء في المدينة، وبعد أيام استوخم حرّها فجاء الأعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: رد عليّ بيعتي، فرفض رسول الله صلى الله عليه وسلم فغادر الأعرابي المدينة، فقال صلى الله عليه وسلم: [ إنما المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد ]<sup>(30)</sup>.

إذاً أولاً: طول الاحتضان، وطول مدة التربية.

ثانياً: البناء الروحي، وقد تم بوسائل كثيرة أهمها في البداية قيام الليل: (( يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) فُمِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ فَأَوْلًا نَقِيلًا )) (المزمل 1-5).

كل هذا حتى تحتل نفسه ذلك القول الثقيل، فكان قيام الليل في بداية الدعوة فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صحبه، وكذلك يقول الله عز وجل: ((وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)) (الأعراف: 170).

هاتان الركيزتان الأساسيتان للمصلح، (يمسكون بالكتاب، ويقومون الصلاة)، ((وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)) (البقرة: 45)، ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)) (البقرة: 153-154).

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (الأنفال: 45)، أي في أرض المعركة اذكروا الله كثيرا لعلمكم تفلحون، وكان صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيائه<sup>(31)</sup>.

وكان إذا خرج من الخلاء يقول غفرانك أي غفرانك عن الفترة التي انقطعت فيها عن ذكرك، وكذلك بإشاعة المحبة بين أصحابه

وبالإيثار ((وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (الحشر: 9).

وكذلك إشاعة الثقة بينهم، فكان إذا جاءه واحد يتكلم على أحد أصحابه يقول له: [ لا تذكروا لي أصحابي فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر ].

فلينتبه الدعاة إلى هذه القضية: الذين يمزقون لحوم بعضهم بعضا باسم مصلحة الدعوة، وباسم التعرف على الجنود والاستهانة بالحرمان، [ لا تذكروا لي أصحابي فإني أحب أن أخرج إليهم و أنا سليم الصدر ].

وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يذكر حسنات أصحابه عند هفواتهم... فعندما كتب حاطب بن أبي بلتعة في إرسال رسالة إلى قريش وقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم: [ يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: يا عمر وما يدريك؟ إنه شهد بدرًا ولعل الله اطلع على أهل بدرًا فقال اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم ]<sup>(32)</sup>.

يجب الاهتمام بتربية النماذج لا بإكثار الأعداد، لأن الناس إنما يتغيرون بفعل النماذج والأفذاذ.

علينا أن نعتني بالكيف لا بالكم، والفئة الصابرة الصادقة وإن كانت قليلة فإنها تنتصر بإذن الله ((كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)) (البقرة: 249).

هذه القاعدة الصلبة هي التي أعادت الجزيرة العربية كلها أيام الردة إلى الإسلام، لأن من نماذجها أبا بكر الذي صاح عندما بلغه ردة القبائل: (والله لو منعوني عناقاً - جدياً - كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم فيه أو أهلك دونه، ثم قال (أينقص الدين وأنا حي؟!)). وفي رواية لو منعوني عقالا - الحبل الذي يربط به البعير -.

وأصر أبو بكر على إنفاذ جيش أسامة، وأجاب الذين راودوه على تأخيره قائلاً: (والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشاً وجهه رسول الله)، وفي رواية: (لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة)<sup>(33)</sup>.

وفي هذه اللحظة الحاسمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ساق الله رجلا حازما - أبا بكر - لينقذ أمة بكاملها من الاندثار والבוوار.

لا بد من تربية النماذج الصلبة التي تستعصي على الإغراء ولا تقبل البيع والشراء من قبل الأعداء والأصدقاء، لا بد من تربية الأفاضل الذين لا يقبلون الذوبان في حوامض المجتمع الجاهلي، ولا يتميعون في ظروفه المختلفة، هذه العناصر الصلبة التي تحمل المجتمع والدعوة فوق كاهلها.

نريد الأفرع الصلبة التي لا تتلوى مع رياح المجتمع، ولا تنتنى مع أهوائه.

لقد كان اجتياز الجيش الإسلامي لنهر دجلة عند فتح العراق وفارس إبان فيضانه من القضايا التي أذهلت المؤرخين وحيرهم تفسيرها: اجتياز الجيش لدجلة دون أن يفقد فردا واحدا من عدده، ولكن القضية الأروع أن الجيش خاض بحور أكبر مدينتين - الروم وفارس - دون أن يفقد من خلقه ولا دينه شيئا<sup>(34)</sup>.

لقد تربع سلمان الفارسي على مقام كسرى بعد أن أذله الله وثل عرشه، وكان كسرى يبكي ويقول: لم يبق عندي سوى ألف طباخ، فكيف أستطيع أن أعيش بهذا العدد فقط؟! بينما سلمان — أمير فارس . ينفق كل يوم درهماً واحداً.

### ولكن كيف يبني الدعاة أنفسهم؟

أ- بالعلم الحقيقي والعبادة الخالصة.

ب- أن يربط الداعية نفسه أو يربطه شيخه بالقرآن الكريم، تلاوة وتفسيراً ومعرفة وأحكامه، وأن يبني المسلم نفسه بين أروقة المساجد، حيث السكينة والرحمة والملائكة والاعتكاف.

ج- أن يحسن اختيار الصحبة الطيبة التي تدله على الله، وعليك يا أخي أن تحسن الاتصال بمن يدلك على الله حاله، ويذكرك بالأخرة مقاله.

د- ولا تنس قيام الليل فله أثر عميق في بناء النفسية المسلمة وصفاء الروح، وقد كان قيام الليل دأب الصالحين، وكذلك صيام النافلة، وخاصة يومي الاثنين والخميس.

ولا بد من الذكر باستمرار لإحياء القلب وحفظه من الشيطان  
ووسواسه، ولتحصن النفس من الهوى والشهوة الجارفة والميل،  
وكذلك توطين النفس على الشكر في الرخاء، والصبر على البلاء،  
والاستغفار من الذنوب والأخطاء. وتربية النفس على الصبر على  
متاعب الطريق وتضحيات العقيدة، ولأواء الجادة.

هـ- ولا بد من استغلال الوقت في المطالعة فيما يفيد، أو العبادة  
والعمل، ولا يجوز أن نقتل حياتنا بالجلسات الفارغة والسهرات  
الخاوية من الفائدة.

ويجب أن نراعي بناء التصور الصحيح لأنفسنا من خلال كتاب  
الله وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة السلف الصالح.

### ولا بد من أن يطالع الإنسان المسلم:

- 1- تفسيراً ولو بسيطاً، مثل تفسير المؤمنين.
- 2- تهذيب سيرة ابن هشام.
- 3- كتاباً في حياة الصحابة، أو صفة الصفة.

4- كتاباً في العقيدة مبسطاً، مثل كتاب (الإيمان) للدكتور محمد نعيم ياسين.

5- كتاباً في الفقه، مثل كفاية الأخيار للمحمصاني .

6- كتاباً في الحديث مبسطاً، مثل (رياض الصالحين).

7- أن يفتي كتاب (الأذكار للنووي) (والمأثورات لحسن البنا).

8- كتاباً في مصطلح الحديث، مثل كتاب الدكتور أديب الصالح.

9- كتاباً في علوم القرآن، مثل كتاب مناع القطان.

10- كتاباً مبسطاً في الأصول، مثل كتاب عبد الوهاب خلاف، أو تبسيط أصول الفقه لمحمد الأشقر.

هذا مع تعويد النفس على تبليغ الدعوة ومواجهة الناس في المساجد، والجرأة في تبليغهم، مع المحافظة على دروس العلم، وتلقيه بأدب وفهم، مع المطالعة في الكتب الحديثة، لسيد قطب ومحمد قطب وسعيد حوى والمودودي. كل هذا مع صدق النية وإخلاص الطوية.

هذه النماذج هي التي يصدقها الله ويجعلها ستاراً لقدره، وأداة لنصرة دينه ((وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)) (الحج: 40-41). (35)

وذلك لأن هذه النماذج هي الأساس التي سيكون فوقها بناء ثقيل، فلا بد أن تكون صلبة، خاصة أحجار الزوايا والأعمدة. والطلائع الأولى دائماً هي الأعمدة للدعوات وللمجتمعات، هذه الطلائع ما لم تكن صلبة، سينهار البناء مهما سمك في السماء، ومهما شهق في الفضاء. ولن تعيش دعوة أعمدتها أو أساسها من ملح سرعان ما يذوب. (36)

## وزن الأشخاص بالميزان

7

الرباني ( بالتقوى )

والموازن الربانية لا تستعمل إلا على أيدي أناس عاشوا مرحلة طويلة في الابتلاء والمحن، وفي التربية والتوجيه. وبقدر ما تستعمل موازين الله سبحانه بقدر ما يسود العدل في الأرض، وبقدر ما ترتاح النفوس، ويعم العدل في أرجاء المعمورة.

وإذا اختلت الموازين الربانية في أيدي الناس اختل المجتمع وانقلبت الموازين، وإذا انقلبت الموازين انقلب المجتمع، وفي الحديث: [ كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفًا والمعروف منكراً ] ويلتبس الأمر على الذين يبتعدون عن الموازين الربانية.

فمن الموازين الربانية مثلاً قوله تعالى: ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ)) (الحجرات: 13)، ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: [ اسمعوا وأطيعوا ولو أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ] (37).

ومنها قوله تعالى: ((وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّغْفِرِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ)) (سبأ: 37).

فلن تستقيم الحياة أبداً، إلا بقدر الاستقامة في استعمال الموازين الإلهية، وقد يُتلاعب في الميزان، وقد يضطرب في أيدي الناس فيضطرب المجتمع، وقد تختل الموازين فيختل المجتمع، وقد تتقلب الموازين فينقلب المجتمع بأسره، فترى إنساناً يقول الناس عنه: ما أحلمه وما ألطفه وليس في قلبه مثقال ذرة من إيمان، كما جاء في الحديث، وهذا عندما تختل الموازين وتضطرب القيم.

إن لله ميزاناً أنزله ليقام العدل في الأرض، وما أنزلت الشرائع إلا من أجل إقرار العدل ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)) (الحديد: 25).

ولكن العدل لن يقام في الأرض، ولن يستعمل الميزان إلا إذا وجد حماية كافية رادعة، لكل يد تريد أن تعبث، وكل إنسان يريد أن يلعب، فلا بد من حماية الميزان من الاضطراب والعبث واللعب، ولذلك قال الله تعالى بعدها: ((وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)) (الحديد: 25) والحديد لحماية الميزان، ولن تقوم للميزان قائمة ولن يستعمل في الأرض ما لم يكن الحديد يحميه.

فالحديد للجهاد، وأنزله الله عز وجل من أجل أن يحمي هذا الدين، من أجل أن تصان المبادئ من العبث، من أجل أن تحاط القيم من

اللعب، من أجل أن لا يعبث السفهاء بالقيم فتضطرب، وبالموازن  
فتختل المجتمعات، وتضيع القيم ويسود الظلام، ويغرق الناس في  
المستقع الأسن، في حضيض الشهوات، التي لا تفرخ إلا في  
المستقعات الأسنة، كما يعيش البعوض والذباب في المستقعات  
الأسنة.

لا ينتشر الزنا، ولا يسود الظلم، ولا تعم الفوضى، ولا يحدث  
الارتباك، ولا تزداد الرشوة إلا إذا اختل ميزان رب العالمين بأيدي  
الناس، إلا إذا اختلت الأيادي التي عبثت في الميزان، فاختلفت  
الأرض وفسدت.

إن الذي عرف من الإسلام معرفة ثقافية، أو تربع على صفحات  
الكتب، أو حفظ الحواشي والمتون لا يستطيع أن يحمل الميزان  
ويستعمله طيلة حياته، إن هؤلاء لا يستطيعون أن يضبطوا الميزان،  
وسيختل بين أيديهم، ويختل المجتمع كله. ولو استطاع الذين  
يحفظون المتون والحواشي أن يستعملوا الميزان، لوجدنا المعاهد  
الدينية والكليات الشرعية، مثل الأزهر والزيتونة وغيرها تقدم نماذج  
للعالم تقف أمام الظلم، ولو وضع المنشار على الرؤوس فيجعلها

نصفين، أو يمشط بأمشاط الحديد، ما دون عظمها من لحم وعصب.

وأما بعض النماذج والأفذاذ الذين تخرجوا من مثل هذه المعاهد، لا بسبب الثقافة التي تلقوها، وإن كان للثقافة أثر، ولكن بسبب تأثرهم بأستاذ من الأساتذة، يستقي أحدهم منه دينه قبل أن يستقي منه علمه، يتلقى منه ورعه قبل أن يتلقى منه ثقافته، يتربى على يديه قبل أن ينهل مما بين يديه من كتب.

إن الحواشي والمتون لا تستطيع أن تربي أفاذ البشر الذين يضبطون الميزان، إن الذين يستطيعون أن يضبطوا الميزان أمثال الذين تربوا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقلبوا بين نار المحنة وحرارة الابتلاء.

إن لله قيماً وموازنين، وللبشر قيماً وموازنين، إن لله موازين أراد أن يقرها في واقع الأرض حياة وسلوكاً ونظام حياة، موازين كانت تعتبر خيالاً يمر في أدمغة البشر، كأنه أحلام فأصبحت واقعاً بسلوك وكلمات وحياة وحركات.

فالميزان الرباني يقول: ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) (الحجرات: 13) وعندما جاء عليه من القوم من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا محمد أفرد لنا مجلساً حتى نجلس معك، لأننا نستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعداء حولك فتعيرنا بذلك، وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرد لهم مجلساً، وإذا بجبريل الأمين يتنزل بهذه الآيات: ((وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)) (الكهف: 28).

ويقول عز وجل: ((وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (53) وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) (الأنعام: 52-54).

فهذه الموازين الربانية، وأما الموازين الجاهلية فالبشر يتفاضلون فيما بينهم بقدر وزنه في القوم أو العشيرة، أو ماله أو وظيفته، ويكون ترتيب المجتمع حسب هذه كثرة أو قلة زيادة أو نقصاناً، ومن هنا فميزان الجاهلية قد يرفع رجلاً مثل أبي جهل، فيسميه أهل الجاهلية أبا الحكم، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلق عليه أبا الجهل، وميزان الجاهلية يضع رجلاً - مثل بلال رضي الله عنه - في مصاف الدواب (في ميزان الجاهلية) ويستحيي أمثال أبي سفيان بن حرب أن يجلس معه مجرد جلوس.

وفي صحيح مسلم أن بلالاً وعماراً وصهيباً تعرضوا لأبي سفيان يوم فتح مكة، وقالوا: والله ما نالت سيوف الله من أعداء الله شيئاً، فغضب أبو سفيان وذهب إلى أبي بكر يشكوهم، فجاء وعاتبهم بشدة، ثم قال: أنقولون لسيد قريش هكذا؟! ثم انطلق أبو بكر ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويشكو بلالاً وعماراً وصهيباً، وظن أبو بكر أن رسول الله سيغضب ويعاتبهم لأنهم أغضبوا سيد قريش، وإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يضع الميزان الرباني ويقول لأبي بكر [ لعلك أغضبتهم، فقد أغضبت ربك!! ].

يا لله!! أي رفعة؟! وأي عظمة؟! وأي بركة يرتفع فيها هذا العبد من مصاف الدواب (في ميزان الجاهلية) إلى مقام يغضب رب العزة من أجله؟! [ إن لله رجلاً إذا أرادوا أراد، ورب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره ] (38).

وعندما سمع أبو بكر كلام رسول الله أخذت فرائصه ترتعد، فرجع إلى بلال وعمار وصهيب يرجوهم، ويستجيش العاطفة في أعماقهم، ويقول: لعلي أغضبتكم؟ فيقولون: سامحك الله، فتنبسط أساريه وترتاح مشاعره، ويقر وجدانه، ويهدأ قلبه.

وفي نفس اليوم - كما روى ابن هشام في السيرة - (يوم فتح مكة) يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً أن يصعد فوق الكعبة ليذوي صوت (الله أكبر) في أرجاء مكة، فأذن بلال، ورددت أرجاؤها أصداً هذا النداء الذي يردده الكون. وكان ثلاثة من زعماء قريش يجلسون مع بعضهم وهم (عتاب بن أسيد وأبو سفيان بن الحارث والحارث بن هشام) فقال الحارث - وهو من الطلقاء - : الحمد لله الذي أمات هشاماً قبل أن يرى هذا اليوم، وقال الثاني: ما وجد إلا هذا الغراب الأسود يصعد فوق سطح الكعبة، وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أتكلم شيئاً.

أولئك أهل الجاهلية بموازينهم في غيهم يعمهون، وفي طغيانهم سادرون، يظنون أن موازينهم بقي لها في الأرض قرار، فيستعملونها، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

إن إقرار موازين الله في الأرض عملية شاقة لا تطيقها إلا كبار النفوس، وأفذاذ البشر. أن تقدم من يقدمه الله، وتؤخر من يؤخره الله، أن توالي من يوالي الله وأن تعادي من يعادي الله، وأن تعطي لله، وتمنع لله، وتحب لله وتبغض لله، حتى ابتسامتك توزعها حسب ما يرضي الله، هذه قضية لا تطيقها إلا كبار النفوس التي تعبت عليها أنظف الأيدي في التربية عبر مسار طويل، من خلال محن طويلة تصنع النفوس وتربيتها من خلال المحنة وحرارة الابتلاء، وهي جاهزة للطرق مطاوعة للتوجه<sup>(39)</sup>.

والميزان الرباني يجعل ابن مسعود ساقه عند الله أثقل من جبل أحد!! كما ورد. وبقي هذا الميزان الذي استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به أصحابه، فعمر يعطي (أسامة بن زيد) أكثر من ابنه (عبد الله بن عمر) فاعترض عبد الله وقال: لماذا يا أبت تعطي أسامة أكثر مني؟ فقال: كان أبوه أحب إلى رسول الله من أبيك، وكان هو أحب إلى رسول الله منك، ولذلك لا أساويك معه

في العطاء، أبوه أحب إلى رسول الله من أبيك وهو أحب إلى رسول الله منك.

ولذلك عندما وقف على باب عمر كل من سهيل بن عمرو وأبو سفيان، ومعهم بلال، أذن لبلال ولم يأذن لهما: - لأبي سفيان ولسهيل -، فتورم أنف أبي سفيان غضبا، وقال: لم أر كاليوم قط!! نترك على باب عمر ويؤذن لهؤلاء الأعداء؟! فقال سهيل: لا تغضب... دعوا ودعينا فسبقوا وتأخرنا.

وعندما كان في مجلس عمر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو، وهما على جانبيه، دخل جماعة من المهاجرين فأبعد سهيل وعبد الرحمن، ثم دخل جماعة من الأنصار فأبعد الاثنين، وهكذا لا زالا يبعدان حتى أصبغا في آخر المجلس فتألم أبو سفيان وعبد الرحمن بن الحارث، فقالا: يا أمير المؤمنين لقد رأينا ما صنعت بنا، فهل لنا من أمر نتدارك به ما سبقنا، قال: لم أر لكم أي مجال سوى أن تذهبوا إلى هاهنا - وأشار إلى الشام - . فتحركا إلى معركة اليرموك، وكان أبو سفيان قد نيف عن السبعين. (40)

## التربية من خلال الأحداث والحركة الواقعية

8

ففي أحد: غلطة واحدة، وهي عصيان الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر دفعوا له ثمنا غاليا. سبعين من خيرة الرجال التي مرت على هذه الأرض، والرسول صلى الله عليه وسلم عندما أراد أن يحول الهزيمة في أحد إلى نصر خرج بأصحابه بجراحاتهم إلى حمراء الأسد، ولم يأذن لأحد - لم يشهد أحد - أن يحضر معه، وعسكر في حمراء الأسد ثلاثة أيام، ينتظر قريشا ويتحداها. (41)

إن التربية لا تؤخذ من خلال الأوراق، ولا توزع من خلال النشرات، إن الذي يؤخذ من الكتب ويقرأ في المجالات إنما هو الثقافة وليس التربية، وشتان شتان بين التربية والثقافة، ولذا تجد البون شاسعا بين شاب تربى على أيدي الرجال وشاب تتقف على الأوراق، (لا نقول تربى على الأوراق) لأن المعلم والقائد يعطي الأدب - نظريا - من خلال الثقافة ومن خلال الفكر، بينما هو يربي من خلال عمله كأسوة حسنة، ويقود هذه الفئة التي حوله، ومن خلال دله وسمته، ومن خلال خلقه والتزامه، ومن خلال زهده وشجاعته تتربى هذه الأفرخ الناشئة (الأجيال الناشئة) حوله فتتضج بإذن ربها، وعلى هدي من كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولذا قال ابن المبارك - رحمه الله - : مكثنا عشرين عاماً نطلب العلم، وثلاثين عاماً نطلب الأدب، لأن الأدب عملياً لا يؤخذ من الكتب، إنما يؤخذ من أخلاق الرجال.

والنفوس بطبيعتها تتأسى بالأمثلة الحية التي تعيش أمامها وتقتفي آثار الناس الذين يقودون المسيرة في معركتها. والأحياء مؤثرون أكثر من الأموات، وإن كان سلف هذه الأمة لم يموتوا، إلا أن طبيعة النفوس تتأثر بالأحياء الشاخصون أمامهم، - بدمائهم وبشريتهم وسلوكهم - أكثر من الذين ماتوا قبل زمن طويل، ولذا عندما تضرب مثلاً حياً من معركة قائمة في مواجهة الطواغيت ، غير ما تضرب مثلاً من سلفنا الصالح ، من الصحابة رضوان الله عليهم، الذين كانت حياتهم كلها في مواجهة الطواغيت، وتضحيات من أجل الإطاحة بهم في الأرض.

فعندما نذكر قصة قائد في أفغانستان - مثلاً - تؤثر فينا أكثر من القصص التي تلقيناها عن سلف هذه الأمة، لأن الأجيال بحاجة إلى تجديد الأسوات الذين يسرون أمامهم على طول الطريق.

فلا بد إذن من تجديد القيادات والنماذج التي تعيش في داخل الميدان، ولذا شتان شتان بين أفراد يعيشون في داخل أفغانستان حول قائد - وهم مستعدون للموت قبل أن يجرح، ويبادون قبل أن يؤذى، ويتلقون منه كل كلمة، لأنه يشاركهم السراء والضراء، فيأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون، ويعيش بين فكي الموت كما يعيشون - شتان بين هذه الفئة التي يقودها هذا القائد، وبين تلقيها الأوامر التي تأتيها من بيشاور<sup>(42)</sup>، إنهم يطيعون ذاك الذي يعيش معهم في داخل الميدان، الذي شاركهم آلامهم وآمالهم وخططهم وطموحاتهم، يعيش معهم، وكلهم كنفس واحدة وروح واحدة وجسد واحد، والسبب هو أن القيادة الحقيقية هي القيادة الميدانية التي تمسك الزمام، وتؤثر على القلوب، وتغزو الأفئدة وتنتزع إعجابها، وتفرض احترامها على كل النفوس التي حولها. فلا بد من عملية التربية، ولا بد من القيادة، ولا بد للقيادة أن تكون ميدانية.

ومن هنا فقد جعل الله سبحانه الولاية والنصرة لمن عاش حول القائد وشاركه المسيرة، وبقي في كنفه يتلقى تربيته وسمته وتوجيهاته، قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)) (الأنفال: 72)، بل قال عن الباقيين في مكة يوم أن قتل بعضهم، خرجوا حياءً يوم بدر مع أبي جهل، وقتلوا في المعركة وتآلم الصحابة وقالوا: قتلنا إخواننا في المعركة من المؤمنين الذين كانوا يخفون إسلامهم في داخل مكة، فأنزل الله سبحانه: ((إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا)) (النساء: 97-99)<sup>(43)</sup>.

فلم يعذر الله سبحانه إلا الثلاثة (الطاعنين في السن والنساء والأطفال) لأنهم (لا يستطيعون حيلة) أي لا يعرفون الطريق إلى المدينة ولا يثبت الكبار على الدابة، حتى قيل أن ضمرة بن أبي العيص قال عندما قرأ هذه الآية، أنا أستطيع أن أثبت على الدابة وأعرف الطريق إلى المدينة، فجهزوا راحتي، قالوا إنك مريض، قال: بل أستطيع!! وبعد أن جهزوا راحته ومشى ستة كيلوا مترات مات في التمتع رضي الله عنه وأرضاه، فأنزل الله سبحانه: ((وَمَنْ

يُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)) (النساء: 100).

نخلص من ذلك إلى أنه لا بد أن تكون القيادة التي تربي والتي تقود المعركة مع الطاغوت ميدانية.

ولا أجد - لأول تجربة للعمل الإسلامي للإطاحة بالطاغوت عن طريق القتال والدماء والأشلاء، وهي تجربة الإخوة في سوريا - لا أجد سبباً رئيسياً لفشلها سوى أن القيادة أرادت أن تدير المعركة خارجة عن أرضها، فإن محاولة إدارة المعركة من خارج أرض القيادة غالباً ما تبوء بالفشل، لقد كانت التضحيات التي قدمت من الشباب في سوريا لا نظير لها، وكان النور يشع من وجوه بعضهم، لقد رأيت (مروان حديد) قبل أن يقتل بعام - عندما مررت بسوريا - وأول كلمة قالها لي: يا أبا محمد أما اشتقت إلى الجنة؟! فنظرت في وجهه فرأيت نوراً ما رأيت على جبين أحد قط. تقريباً - رأيت أن هذا الرجل ليس من أهل الدنيا، لقد تجردوا من ذواتهم وخلصت نفوسهم، ولذا أتوا بما لم يستطعه غيرهم، وزلزلوا الأرض من تحت أقدام الطاغوت.

لكن عندما جاءت بعض الأوامر من الخارج - من الذين لا يعيشون المعركة ولا يصطلون بناها ولم يدركوا أعماقها - كان التخطيط لا يناسب الواقع الذي يعيش فيه الشباب الذين ينتظرون الموت في كل لحظة.

رأيت عبد الستار الزعيم الذي تولى القيادة بعد مروان حديد - وكان قد خطب فتاة - فقال لي: يا أبا محمد أتمنى أن أبيت ليلة واحدة في بيت من البيوت، إنني أبيت في داخل المقابر المحفورة، لأنهم يبحثون عني في كل مكان، وهو يهز دنيا الطاغوت، ولا يجد واحداً في حماة أو دمشق أو غيرها يؤويه إلى بيته أو يجرؤ أن يسلم عليه!!

فكانت نماذج عجيبة وكرامات غريبة حصلت على أيدي هؤلاء، ولكن القيادة الميدانية كانت تنتظر الأوامر من القيادة التي خارج الميدان، ولا يستطيع البعيد أن يخطط كمن يرى (وليس من رأى كمن سمع، وليس الخبر كالمعاينة).

وفي أفغانستان قضية مشابهة تماماً، فالمنطقة التي وجدت قائداً يعيش فيها ويواصل حركته مع جنوده بقيت متماسكة وملتفة حول

قائدها، واستمرت مسيرتها ونضجت تجربتها، وشمخت بنيانها، وبقوا يحققون النصر تلو النصر، والسبب كما ذكرنا ونذكر دائماً هو ثبات القيادة في الداخل مع جنودها الذين حولها، تعايشهم وتشاركهم حياتهم ومماتهم، وحين يترك القائد جبهته ثم يرسل لها الرسائل من بعيد يفسد أمرها.

فالإنسان حين يغيب عن أولاده ستة أشهر أو سنة يجد أن أخلاقهم تجاهه قد تغيرت، فكيف أخلاق الجنود - الذين يرببهم ويقودهم -!!؟.

وعندما يأتيني قائد من القادة الميدانيين يطلب مساعدة أسأله سؤالاً: كم مضى عليك في بيشاور بعيداً عن جبهتك؟ فيقول سنتين. ثم أسأله: كم عدد المجاهدين في جبهتك؟ فيقول عدة آلاف، فأقول له: لا أصدق أن عندك عشرون مجاهداً، لأنهم قد انفضوا بعدك بالتأكيد وتفرقوا، لأنه لا يمكن أبداً أن يتجمعوا إلا حول قيادة تستطيع أن تقودهم في داخل الميدان.

## وبالتالي نقول:

أولاً: التربية لا تكون من الكتب، والذين تربوا على الكتب قلما نجد فيهم أخلاق العلماء، وقلما نجد فيهم آداب المتعلمين إلا من رحم ربك، وتجد الفرق الهائل والبون الشاسع بين من تتلمذ على أيدي الرجال والأفاضل العلماء، وبين الذين كانت بضاعتهم مزجاة، كحاطب ليل قد يجمع الحطب وفيها الأفعى تلدغه كما قال الشافعي رحمه الله.

والذين يتربون على أيدي الصادقين المخلصين من العلماء أو الدعاة، هؤلاء هم زخر الفكرة، هؤلاء هم كنز العقيدة التي يحملونها، وهم حملة اللواء الحقيقي. وأما بقية الناس فنحن بحاجة إليهم إلى الاستنفار العام، بحاجة إليهم لإظهار شوكة المسلمين، ولتكتير سوادهم. ولذا لم يبق الجهاد - الذي ثل عرش كسرى وأهوى بعرش قيصر - محصوراً في تلك الفئة الصادقة الطيبة التي رباها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقد استنفرت الأمة كلها لتشارك في معركة وقودها طويل، وتضحياتها ضخمة وضرائبها باهظة، حتى كانت القبائل المرتدة تكون الجزء الأكبر من الذين ساروا إلى

العراق، وحطموا عرش كسرى، بعد أن أرجعهم سيف خالد إلى الإسلام، ثم سيرهم الصديق رأساً إلى العراق. (44)

**وثانياً:** إن تربية الجيل تتم من خلال الواقع والأحداث والحركة، كما أن التاريخ تصنعه أفعال من الناس بقدر من الله سبحانه وتوفيقه، وهؤلاء الناس أحداثهم وسيرهم وحركاتهم وسلوكهم تجسد دين الله عز وجل حياً فوق الأرض، والتي تحول الآيات والكلمات إلى أشخاص، من دماء ولحوم يراها الناس فيرون القرآن والسنة حياً، ويشهدونها شاخصة أمامهم في واقع الحياة.

والتاريخ أحداث، وهذه الأحداث إنما يجريها أشخاص، والأشخاص هم قدر من الله عز وجل، والشهداء كذلك هم جزء من قدر الله سبحانه ليصنعوا تاريخ الأمة، ويعلموا الأجيال أن المبادئ أثمن من الحياة وأن العقائد أعلى من الأرواح، وأن القيم أهم من الأجساد والدنيا كلها، وأن هذه الدنيا لا تساوي لحظة من رضى الرحمن. (45)

## الجهاد

وهو من الأسس الكبرى التي تقوم عليها كل حركة، وكل حركة إسلامية لا تعني بالجهاد فيجب أن تترك حركتها وتعلن أنها بدع من القول، والجهاد مبني في الإسلام على أسس، لقد بناهم الإسلام على أن يزهّدوا في الدنيا، وقال لهم صلى الله عليه وسلم: [ ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس ]. (46)

وبني كذلك على التوكل، والفتاحة التي نقرأها سبع عشرة مرة في الفرائض - في اليوم والليلة - فيها: ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) (الفتاحة: 5)، وكما يقول ابن القيم: الدين قسمان، عبادة واستعانة أو إنابة وتوكل، وعندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهو يخوض المعارك ضد قريش) (سكة محراث) أمام باب أحد الأنصار قال: [ ما دخلت هذه بيتا إلا ودخله الذل ] (47). لا يعطل الحياة، بل لأنه رأى في (سكة المحراث) اشتغالا بالمهم قبل الأهم، لأن دين الله سيتعرض للزوال لو اشتغلنا بالزرع والتجارة.

وفي الحديث: [ إن الناس إذا ضنوا بالدرهم والدينار ورضوا بالزرع وأمسكوا بأذنان البقر وتبايعوا بالعينة وتركوا الجهاد سلط الله عليهم ذلاً لا يرفعه حتى يرجعوا إلى دينه ]. (48)

ومن هنا وبعد فتح بلاد الشام ورأى المسلمون أرض الحولة الخصبة زرعوها من (سمراء الشام) - أي من الحنطة - وعلم عمر، فأرسل رجلاً وأحرق زرعهم، وبرسالة طولها سطر واحد (إنكم إن تركتم الجهاد واشتغلتم بالزرع ضربت عليكم الجزية وعاملتكم معاملة أهل الكتاب، إن أقواتكم من أفواه أعدائكم). (49)

والنصوص التي تأمر بالجهاد كثيرة جداً، من الكتاب والسنة، ونصوص الفقهاء وإجماع الأمة.

نذكر بعضها ((انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (التوبة: 41)، ((وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) (التوبة: 36)، ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)) (الأنفال: 39).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [ لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا ](50). وفي الحديث الصحيح: [من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ](51). (52)

وفي الحديث الصحيح: [ بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم ](53).

وقد اقتضت حكمة الله أن يقيم صلاح الأرض على قانون الدفع، فقال سبحانه: ((وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)) (البقرة: 251).

أي أن الله سبحانه تفضل على البشرية بأن سن لهم هذا الناموس وبين لهم هذا القانون (قانون الدفع) أو بعبارة أخرى الصراع بين الحق والباطل، وذلك من أجل صلاح البشرية، وسيادة الحق، وانتشار الخير، بل إن الشعائر التعبدية ودور العبادة محمية بهذا

القانون لقوله تعالى: ((وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)) (الحج: 40).

وهذا القانون (قانون الدفع) أو الجهاد قد احتل صفحات كثيرة من كتاب الله عز وجل، لأن الحق لا بد له من قوة تحميه، فكم من حق وضع بسبب خذلان أهله له، وكم من باطل رفع لأن له أنصاراً ورجالاً يضحون من أجله.

ولقد مرت أزمان على سلفنا الصالح أخذوا بهذا القانون فسادوا الدنيا وأصبحوا أساتذة الأنام كما قال تعالى: ((وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)) (السجدة: 24)، وكما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: [صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل] (54). ثم جاءت ذراري المسلمين وأهملت قوانين الله، ونسيت ربها، وضيعوا أحكامه فضاعوا.

ومن أهم الفرائض الغائبة والواجبات المنسية فريضة الجهاد التي غابت عن واقع المسلمين، فأصبحوا غثاء كغثاء السيل، كما في الحديث: [ يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب أعدائكم، لحبكم الدنيا وكرهيتكم الموت ] وفي رواية قال: [ حبكم الدنيا وكرهيتكم للقتال ] (55).

### وجهاد الكفر نوعان:

**1- جهاد الطلب** (طلب الكفار في بلادهم) بحيث يكون الكفار في حالة لا يحشدون لقتال المسلمين، فالقتال فرض كفاية، وأقل فرض الكفاية سد الثغور بالمؤمنين لإرهاب أعداء الله، وإرسال جيش في السنة على الأقل... قال الأصوليون: (والجهاد دعوة قهرية تجب إقامته - بقدر الإمكان - حتى لا يبقى في الأرض إلا مسلم أو مسالم).

**2- جهاد الدفع (دفع الكفار من بلادنا) وهذا يكون فرض عين،**

بل من أهم فروض الأعيان، ويتعين في حالات:

- أ- إذا دخل الكفار أرض المسلمين.
- ب- إذا التقى الصفان وتقابل الزحفان.
- ج- إذا استنفر الإمام أفراداً أو قوماً وجب عليهم النفير.
- د- إذا أسر الكفار مجموعة من المسلمين.

أما في الحالة الأولى: وهي حالة دخول الكفار أرض المسلمين، ففي هذه الحالة اتفق السلف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثون والمفسرون - في جميع العصور الإسلامية إطلاقاً - أن الجهاد في هذه الحالة يصبح فرض عين على أهل هذه البلدة . التي هاجمها الكفار - وعلى من قرب منهم، بحيث يخرج الولد بغير إذن والده والزوجة بغير إذن زوجها (ولكن مع محرم) والمدين بغير إذن دائننه، فإن لم يكف أهل البلدة أو قصروا أو تكاسلوا أو قعدوا يتوسع فرض العين على شكل دوائر الأقرب فالأقرب، فإن لم يكف أو قصروا فعلى من يليهم ثم على من يليهم حتى يعم فرض العين الأرض كلها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمات والدين إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط (كالزاد والراحلة) بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم).<sup>(56)</sup>

وقد كان الجهاد ديناً للسلف الصالح، وكان صلى الله عليه وسلم سيد المجاهدين، وقائداً للغر الميامين، فكانوا إذا اشتد الوطيس يحتمون برسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون أقربهم إلى العدو. وعدد مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم التي خرج بها بنفسه سبع وعشرون، وقاتل في تسع منها بنفسه، وكانت سراياه التي بعثها سبعاً وأربعين، وقيل أنه قاتل بني النضير<sup>(57)</sup>. وهذا يعني أنه كان يخرج في غزوة أو يرسل سرية في كل شهرين أو أقل. وسار الصحب الكرام على سنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فلقد كان القرآن الكريم يربي هذا الجيل تربية جهادية، ويحميهم من أن ينغمسوا في الدنيا كما يحمي أجدنا لديغته من الماء، فلقد روى الحاكم في المستدرک<sup>(58)</sup>، عن أسلم أبو عمران قال: حمل رجل من

المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقة، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال الناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحبباً، فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فشا الإسلام، وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلنا وأولادنا فنقيم فيها، فنزلت: ((وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)) (البقرة: 195)، فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد.

وقد روى عكرمة أن ضمرة بن العيص، وكان من المستضعفين في مكة، وكان مريضاً، فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة، قال: أخرجوني، فهيء له فراش، ثم وضع عليه وخرج، فمات في الطريق بالتعميم، على بعد 6 كيلو متر من مكة. (59)

وأسند الطبري عن رأي المقداد في حمص على تابوت صراف، وقد فضل على التابوت من سمنه، وهو يتجهز للغزو، فقيل: عَذَرَكَ

الله، فقال: أتت علينا سورة البحوث ((انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا))  
(التوبة: 41).

وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيّب إلى الغزو وقد ذهب إحدى  
عينيّه، فقيل له: إنك عليل، فقال: استتفر الله الخفيف والثقيل، فإن  
لم يمكنني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

وروي أن بعض الناس رأى في غزوات الشام رجلاً قد سقط حاجباً  
على عينيّه من الكبر، فقال له: يا عم إن الله قد أعذرك، فقال: يا  
ابن أخي قد أمرنا بالنفير خفافاً وثقلاً.

وهذا إبراهيم بن أدهم عندما أحس بالموت، قال: أوتروا لي قوسي،  
وتوفي وهو في كفه، ودفن في إحدى جزائر البحر في بلاد  
الروم. (60)

وهذا عبد الله بن المبارك، وكان يقطع مسافة ألفين وستمئة كيلو  
متراً راجلاً أو راكباً على دابته ليقاتل في سبيل الله في ثغور  
المسلمين. (61)

وقال زهير بن المرزبي: أشتهي لحماً من أربعين سنة، ولا أكلها حتى أدخل الروم فأكل من مغنم الروم<sup>(62)</sup>.

وهذا قاضي الكوفة عروة بن الجعد كان في بيته سبعون فرساً مربوطة للجهاد<sup>(63)</sup>.

وهذا محمد بن واسع كان من العباد المحدثين الغزاة المرابطين يقول عنه القائد قتيبة بن مسلم الباهلي: لإصبع محمد بن واسع تشير إلى السماء في المعركة أحب إلي من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير، يعني قوي<sup>(64)</sup>.

وهذا أحمد بن إسحق السلمي يقول: أعلم يقيناً أنني قتلت بسيفي هذا ألف تركي (من الكفار)، ولولا أن يكون بدعة لأمرت أن يدفنوا معي<sup>(65)</sup>.

وهذا أبو عبد الله بن قادوس لكثرة قتله من نصارى الأندلس كان النصراني إذا سقى فرسه فلم يقبل على الماء قال له: مالك أرايت ابن قادوس في الماء<sup>(66)</sup>.

وهذا بدر بن عمار يقتل الأسد بسوطه، فيمدحه المتتبي:

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المسلولا

وهذا عمر المختار يقول عنه غراسياني (القائد الإيطالي): لقد خاض عمر المختار مع جنودنا (263) معركة خلال عشرين شهرا، أما مجموع معاركه فقد بلغت ألف معركة.

وهذا الشيخ محمد فرغلي كان الإنجليز في الإسمايلية يعلنون حالة الطوارئ في معسكراتهم إذا دخل الفرغلي المدينة. والشيخ يوسف طلعت كان يُسمى (جزار الإنجليز) لكثرة ما قتل منهم في قناة السويس، فأعدمهما عبد الناصر، إرضاءً لأسياده!!.

إن إقامة المجتمع المسلم فوق بقعة أرض ضرورية للمسلمين، ضرورة الماء والهواء، وهذه الدار لن تكون إلا بحركة إسلامية منظمة تلتزم الجهاد واقعا وشعارا، وتتخذ القتال لحمة ودثاراً .

فالسحابة رضوان الله عليهم كان عددهم قليلا جدا بالنسبة لمجموع عامة المسلمين الذين قوضوا عرش كسرى وثلوا مجد

قيصر، بل إن القبائل المرتدة عن الإسلام في أيام الصديق قد سيرهم عمر بن الخطاب- بعد أن أعلنوا توبتهم- إلى قتال الفرس.

والحركة الشعبية الجهادية مع طول الطريق ومرارة المعاناة وضخامة التضحيات وفداحة الأرزاء تصفي النفوس، فتعلو على واقع الأرض الهابط، وترتفع الاهتمامات عن الخصومات الصغيرة على دراهم، وعن الأغراض القريبة وسفاسف المتاع، وتزول الأحقاد، وتصلق الأرواح، وتسير القافلة صعدا من السفح الهابط إلى القمة السامقة بعيدا عن نتن الطين وصراع الغابات.

وعلى طول طريق الجهاد تفرز القيادات، وتظهر الكفاءات من خلال العطاء والتضحية، ويبرز الرجال بشجاعتهم وبذلهم

لا تحسب المجد زقا وقينة فما المجد إلا الحرب والفتنة البكر

ومع ارتفاع الاهتمامات ترتفع النفوس عن الصغائر، وتصبح

الأمور العظيمة غاية القلوب وأمل الشعوب

إذا غامرت في شرف مروم      فلا تقنع بما دون النجوم  
 فطعم الموت في أمر حقير      كقطع الموت في أمر عظيم  
 يرى الجبناء أن الجبن عقل      وتلك خديعة الطبع اللئيم

وطبيعة المجتمعات كالماء تماما، ففي الماء الراكد تطفو على السطح الطحالب والأعفان، أما الماء المتحرك فلا يحمل العفن فوقه، والقيادات في المجتمعات الراكدة لا يمكن أن تكون على قدر المسؤولية، لأنها لم تبرز من خلال الحركة والتضحيات والبذل والعطاء، فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ما برزوا إلا من خلال الأعمال الجليلة والتضحيات الباهظة، ولذا لم يكن أبو بكر بحاجة إلى دعاية انتخابية عندما أجمعت الأمة على انتخابه، فما أن فاضت روح رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى في الجنة تطلعت العيون إلى الساحة فلم تجد أفضل من أبي بكر رضي الله عنه.

والأمة التي تجاهد تبذل الثمن غاليا فتجني الثمرة الناضجة، ليس من السهل أن تقرط فيما جنته بالعرق والدم، وأما الذين يتربعون على صدور الناس من خلال البيان الأول في انقلاب عسكري

صنع وراء الكواليس في سفارة من السفارات، يسهل عليهم التقريظ بكل شيء.

ومن أخذ البلاد بدون حرب يهون عليه تسليم البلاد

والأمة الجهادية التي يقودها أفذاذ برزوا من خلال الحركة الجهادية الطويلة، ليس من السهل أن تفرط بقياداتها أو تخطط للإطاحة بها، وليس من اليسير على أعدائها أن يشككوا بمسيرة أبطالها، والحركة الجهادية الطويلة تشعر الأمة بأفرادها جميعاً أنهم قد دفعوا في الثمن، وشاركوا في التضحية من أجل قيام المجتمع الإسلامي، فيكونون حراساً أمناء لهذا المجتمع الوليد، الذي عانت الأمة جميعاً من آلام مخاضه.

لا بد للمجتمع الإسلامي من ميلاد، ولا بد للميلاد من مخاض ولا بد للمخاض من آلام. (67)

هكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، وهذه الحقيقة كانت واضحة عندهم، سواء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعد مماته، فالصحابه الذين حجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم

حجة الوداع عددهم (124) ألفاً، وفي رواية (114) ألفاً، فكم توفي منهم في المدينة؟! قال لي أحد الكتاب ممن ألف عن الصحابة الذين دفنوا في البقيع - ولا يوجد مقبرة في المدينة غير البقيع - قال: فوجدتهم أقل من (300) صاحبي فقط!! فأين البقية دفنوا؟! إنهم تفرقوا في البلاد واستشهدوا في العراق وإيران وأفغانستان وفلسطين والشام، وكثيراً منهم استشهدوا بالطاعون. ففي سنة 18 هـ ظهر طاعون (عمواس)، فاستشهد من الصحابة والتابعين فيه 25-30 ألف في سنة واحدة!! منهم أبو عبيدة ومعاذ بن جبل والفضل بن العباس ومنهم الحارث بن هشام، وهم شهداء لأنهم استشهدوا في طريقهم إلى الجهاد، والذي يموت في طريق الجهاد شهيد، ففي الحديث: [ من وضع رجله في الركاب فاصلاً فوقصته دابة فمات أو لدغته هامة فمات أو مات بأي حتف مات فهو شهيد وإن له الجنة ].

ومن هنا فالجهاد فريضة العمر كله، لا تسقط هذه الفريضة إلا إذا خرجت روح الإنسان، أو أقعده المرض أو العمى أو العرج. (68)

## غرس الثقة بنصر الله في

10

## أعماق النفوس

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم متيقنون أن هذا الدين سينتصر، لكنهم لا يعلمون أينتصر على أيديهم أم على أيدي الأجيال التي بعدهم<sup>(69)</sup>.

قال تعالى: ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرَزِلْوْا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)) (البقرة:214).

هذه سنة من سنن الله في الحياة البشرية وناموس من نواميسه في واقع الإنسانية، وناموساً من نواميسه في واقع الإنسانية أن التغيير لا يمكن إلا من خلال المحن، وأن الذين غيروا واقع أرضهم، كانوا قد مروا بتجربة عنيفة، ومحك شديد من البلاء، تخرج من النفس وقد خلصت من شوائبها ونقت من غوائلها، وكلما اشتدت المحن قرب الفرج، وكلما اشتد الكرب قرب النصر، وكلما اشتد العسر جاء اليسر (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح:5-6)<sup>(70)</sup>،

ولن يغلب عسر يسرين، وفي الحديث: [ واعلم أن النصر مع الصبر ]، ورب العزة يغرس الأمل في قلوب المسلمين في أشد الحالات من ادلهام الظلام، ومن أخذ الكروب والخطوب بخناق الناس - وما أشد الظلام إذا قرب الفجر - ، وذلك بعد أن يصف حالة المسلمين من الضيق والمرض والفقر والحرب، حتى يصل الأمر بنفس الرسول صلى الله عليه أن يقول: متى نصر الله؟ فيبشرهم ربهم ((أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)) (البقرة: 214).

قال تعالى: ((حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)) (يوسف: 110).

حالة من الضيق والخوف والتشريد والمجاعة وقتل النفوس وإزهاق أرواح الأبرياء، تصل بنفس صاحب الرسالة وقائد المسيرة إلى حافة اليأس، والرسول لا ييأسون ولكنهم يستيئون.

فبصبر بني إسرائيل مكن الله لهم في الأرض ((وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ

كَلِمَةً رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ  
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)) (الأعراف: 137).

(بما صبروا) والباء سببية، أي بسبب صبرهم مكن الله لهم في الأرض وأورثهم الأرض التي بارك فيها وهي فلسطين، بعد أن دخلوها بعد وفاة موسى عليه السلام. وحكموا فلسطين بالتوحيد بـ (لا إله إلا الله)، بهذه الكلمة استحقوا أن يرثوا الأرض بالتوحيد، واستحق أهل التوحيد بعده الوراثة في الأرض، وبعد أن كانوا يُستذلون ويُستضعفون. (71)

## وناموس الله سبحانه في النصر والتمكين للمؤمنين وقانون التغيير في المجتمعات نحو الإسلام يمر بمراحل:

**المرحلة الأولى:** يقوم رجل باع نفسه لله سبحانه، فيعلن بالدعوة إلى الله عز وجل مدوية، فيلتف حولها عصابة تكون رأس الحربة التي تواجه الجاهلية من حولها، والداعية - الذي يقود الزمرة الأولى من الصفوة - لا بد أن يبدأ بجمع الناس وتربيتهم على عقيدة التوحيد (توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات).

**المرحلة الثانية:** مرحلة الحرب الباردة، فتشتعل المعركة بين الفئة الرائدة وبين قومهم من حولهم، فتسلك فيها الجاهلية كل وسيلة مهما كانت رخيصة، وتسير في كل جادة مهما كانت معوجة، ولا تدع أسلوباً للتنديد والتغيير إلا وتستعمله، من الدس والكذب والافتراء والتشويه والاختلاق، ويبقى الداعية نظيف المسلك، صادق اللهجة، عف اللسان، ناصع الجبين، ثابت الجنان، ويعلم أن طريقه هو الحق، وأن العاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين ((كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)) (الرعد: 17).

وعبر هذه المرحلة تفتح غياهب السجون لزوج الدعاة في أعماقها،  
والتشريد، والاعتداء على الأعراس وانتهاكها. وعندها:

لذ طعم الموت لشاربها أن المنية عند الذل قنديد

وتخرج الدعوة من هذه المرحلة وقد اشتد ساعدها، وصلب عودها،  
وصفا معدنها، وتساقط رعيدها.

وتركز الحرب الباردة في هذه الفترة على شخصية القائد لتحطيمه  
وتشويهه واختلاق التهم التي يمكن أن تشغله عن الخط الذي يسير  
عليه والهدف الذي نذر نفسه له، وتوجه اللكمات الوحشية في نهاية  
المطاف لتصفيته جسديا مع الطليعة التي تلتف حوله، والصفوة  
التي تنتظم كنفه ممن يشكلون الصف الأول من أبناء الدعوة.

وفي نهاية هذه المرحلة: يبلغ الجهد مداه، وتتجمد الدعوة لكثرة  
المصائب التي تنهال على هامتها، وعوامل السحق التي تنصب  
فوق كواهلها.

وفي هذه الفترة الأخيرة من هذه المرحلة في مكة نزلت سورة يوسف عليه السلام كالإمامة للصحابة بين الأخشبيين ( جيل أبي قبيس والأحمر ) أن النصر يأتي بعد طول المحن وشدة الابتلاء، وفي خاتمة السورة جاءت الآيتان الكريمتان: ((حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110) لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) (يوسف: 110-111).

والآيتان توضحان أن هذه هي سنة جارية في الدعوات، وناموس ماض، ولقد جاء الفرج بعد نزول هذه السورة، وساق الله الأنصار الذين بايعوا البيعة الأولى والثانية في العقبة.

**المرحلة الثالثة:** (مرحلة الجهاد) مرحلة الحرب الساخنة والمعركة الطاحنة: وتبدأ الدعوة الإسلامية لتشعل الفتيل، وتكون الدعوة فيها كصاعق يفجر طاقات الأمة تدريجياً.

ويلتف الناس في هذه المرحلة تدريجياً كلما حققت الدعوة نصراً، وفي نهاية هذه المرحلة يزداد الإسلام شدة، ويرفع المسلمون أعناقهم

عزة، والشعب يكتنفهم ويشاركهم معركتهم، لأن الناس بطبيعتهم يرقبون المعركة ويقفون مع المواقف، والناس يمقتون الضعيف، ويكرهون الاستخاء، ويتيهون إعجابا بالقوي الجريء، وهذه الفطرة البشرية. وأنت ترى مصداق هذا في عدد المسلمين بعد الحديبية ازداد كثيراً، فكانوا ألفاً وأربعمائة في الحديبية سنة (6هـ) وعشرة آلاف في فتح مكة سنة (8هـ)، وثلاثين ألفاً في غزوة تبوك سنة (9هـ) وفي حجة الوداع سنة (10هـ) مائة وأربعة وعشرين ألفاً.

**المرحلة الرابعة:** مرحلة النصر النهائي ودخول الناس في هذا الدين زرافات ووحداناً ((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (1) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا)) (الفتح: 1-3).

فالناس يدخلون في هذا الدين أفواجا بعد نصر الله والفتوح، وهذه المراحل مرت بها الدعوة في أفغانستان، ونحن الآن على أبواب النصر النهائي، ونرجو الله أن لا يخيب فآلنا، وأن يصدق ظننا إنه سميع قريب. (72)

## الأسوة الحسنة والقيادة العملية بالتطبيق

11

لقد قاد الأنبياء عليهم السلام هذه المسيرة الخيرة، فخطوا للبشرية بعرقهم ودمائهم خطوطاً بقيت بصماتها ضاربة في أعماق الزمن، وفي أرجاء الكون، غائرة في ثنايا القلوب.

فهذا الطريق تعب فيه آدم وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل واضطجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، وأبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وكابد الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم تسليماً كثيراً، وعلى هذا الطريق سار العلماء والريائيون من هذه الأمة.

فهو طريق الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ومن تبعهم، أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والعز بن عبد السلام وابن تيمية. ودفع نفس الضرائب عز الدين القسام وحسن البنا وسيد قطب ومحمد فرغلي وعبد القادر عودة وصالح سرية وكارم

الأناضولي وعبد العزيز البدرى وخالد الإسلامبولي ومروان حديد  
وصلاح حسن ومحمد باعباد.

فيا علماء الإسلام: هلموا واحملوا الراية حتى تجتمع حول رايتكم  
الأمة. فحياة الأمم إنما ترتبط بمداد العلماء ودماء الشهداء، وما  
أجمل أن نخط تاريخ الأمة بمداد العالم ودمه، فتصبح خارطة  
التاريخ الإسلامي ملونة بخطين، أحدهما أسود وهو ما خطه العالم  
بمداد قلمه والثاني أحمر، وهو ما خطه الشهيد بنجيعة ودمه.  
وأجمل من هذا أن تكون الريشة والدم واحدة، فتكون يد العالم التي  
تبذل المداد وتحرك القلم هي نفس اليد التي تنزف الدم وتحرك  
الأمم.

وبقدر ما يزداد عدد العلماء والشهداء بقدر ما تنقذ الأجيال من  
رقادها، وتنقذ من ضياعها وتستفيق من سباتها.

إنه طريق واحد لا بد من عبوره لإنقاذ الأمم، إنه جسر واحد لا بد  
للعلماء أن يجتازوه آخذين بحجز الأمة وأيدي أجيالها، حتى لا تنتيه  
أو تضل أو تغرق في تيار الحياة العارم الجارف.

لا مفر للعلماء الجادين أن يلجوا هذا الخضم المتلاطم، ولا بد أن تكون دماؤهم وأعمالهم سفناً ينقذون بها الأمم من الضياع المحقق، وإلا فالخزي في الدنيا ولعذاب الآخرة أجزى وهم لا ينصرون.

ففي الحديث الحسن الذي رواه الترمذي: [ أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينتفع بعلمه ]، [ إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ]. وكان سفيان الثوري يقول: (نعوذ بالله من فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون) وكان سفيان بن عيينة يقول: (ليس شيء أنفع من علم ينفع، وليس شيء أضر من علم لا ينفع) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [ اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ومن نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع ] حديث صحيح رواه الأربعة. (73)

## نماذج خالدة:

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم - الذين تربوا على الأيدي الكريمة - إذا رأوا أي اختلاف أو مخالفة لسنة مهما كانت مستحبة ينكرون ذلك الإنكار الكبير، يقول أنس رضي الله عنه: (أيها الناس إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعرة كنا نراها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر)<sup>(74)</sup>.

وعندما رأى أبو سعيد الخدري أبا هريرة رضي الله عنه جالسا أو سائراً مع مروان ابن الحكم وهما يشيعان جنازة ثم جلسا قبل أن توضع الجنازة، وإذا به يثور غاضباً ويمسك أبا هريرة ويرفعه عن الأرض ويمسك مروان ويقول له: لقد علم هذا الذي يسير معك أنه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان الناس يجلسون إلا بعد أن توضع الجنازة!!

وكان الشافعي رحمه الله نحيفاً لكثرة تلاوته ومطالعتة وانكبابه على العلم، وكانوا يقولون عقل الشافعي يأكل من لحمه، فكان لا يستطيع أن ينتف الإبط، فيحلق شعر إبطه حلاقة، فيعتذر إلى الله سبحانه قائلاً: (اللهم إني أعلم أن السنة النتف ولكني لا أطيعه).

وكان الحسن البصري يقول: (أدركت سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتموهم لقلتم مجانين، ولو رأوكم لقالوا زناديق!!).

وهذا في عهد التابعين، عهد الفتوح وعهد التعمق في العبادات والنوافل، عهد الجيل الذي حمل هذا الدين إلى ربوع العالمين، فماذا يقول الحسن البصري لو اطلع على حال المسلمين في هذا الزمان!!.

لقد كان هؤلاء السلف ملائكة في طهرهم، سموا في أرواحهم، علوا في اهتماماتهم وترفعوا عن سفساف الدنيا، داسوا عليها بأقدامهم، ترفعوا عن الوحول، وحول هذه الأرض، وطين هذه المادة، كسروا القيود، وحطموا الأغلال، انطلقوا بأرواحهم إلى الأرض، وأرواحهم هناك في السماء، عيونهم تنزو إلى الجنة، ونفوسهم تهفو إلى الفردوس، ألسنتهم لا تكاد تردد إلا: ((رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) (البقرة: 201)، ((تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) (القصص: 83).

ومن هنا ليس عجباً أن نرى أحدهم يملك الدنيا أو يؤمر على قطر بكامله، ومع ذلك يطلب عمر رضي الله عنه أسماء الفقراء في ولاية حمص أن يكتبوها له، فيكتب الناس أول ما يكتبون أميرهم سعيد بن عامر، فيقول عمر رضي الله عنه: ويحكم، ماذا يصنع بأعطياته التي نعطيه إياه من بيت المال؟! فيقولون هو كذلك هو أفقرنا حالاً، رث الهيئة، بالي الأسمال، البذاذة تبدو عليه في كل وقت، فيرسل إليه أمير المؤمنين بشيء من المال مع رسوله، ويقرع بابه ويناوله إياها، فيفتحها ويرى الدنانير والدرهم فيصيح باكياً ويشهق فتخنقه العبرة، فقالت زوجته: ماذا أصاب المسلمين؟ قال: فتحت على زوجك الدنيا، والله لقد صاحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتحت علينا الدنيا، وصاحبت أبا بكر وما فتحت علينا الدنيا، وصاحبت عمر ففتحت علينا الدنيا، وإن شر الأيام التي أعيشها أيام عمر!!!.

لقد كانوا بشراً بلحومهم ودمائهم، ولكنهم أشرف من الملائكة بأرواحهم ونفوسهم، بهم كان يستمطر الغمام ويستنزل النصر ويطلب الرزق.

وهؤلاء كانوا كالعلة الصعبة في المجتمع الإسلامي، ونواة تتجمع حولها الجموع، وبؤرة صالحة يلتف حولها الناس والمؤمنون الصادقون، الذين يسرون على هدي هذا الدين. هذه النواة بها تسير الجموع، وعلى نور علمها يسير السائرون ويدلج المدلجون في كل زمان.

وهناك أمثلة كثيرة في كل زمان، ممن كانوا أسوة في تطبيق هذا الدين، ومن الأمثلة في هذا الزمان ممن وقفوا أمام الطاغوت في عفوانه، وأمام الظلم في قمة مجده، الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله، الذي عرضت عليه الوزارة من وراء القضبان، وكان يردد كلمته الخالدة: ( إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفاً واحداً يقر به حكم طاغية ) وعندما حكم عليه بالإعدام وجاءوا يطلبون منه الاسترحام قال كلمته: (لماذا أسترحم؟! إن كنت محكوماً بحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن كنت محكوماً بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل!!).

أي نفوس هذه؟! وأي قلوب هذه التي رباها هذا الدين؟! والتي انبثقت من بين طيات القرآن الكريم!! تمثل هذا الدين سلوكاً وأخلاقاً ورفعةً وسمواً، وإن كانوا بشراً من طين!! (75)

## الرفق والإشفاق دون العنت والإشفاق

قال تعالى: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)) (التوبة: 128).

قوله تعالى: (من أنفسكم) للشعور بأن الرسول صلى الله عليه وسلم جزء منا، وقوله: (عزيز عليه ما عنتم) يعني يحزنه مشقتكم (وما) هنا مصدرية، ومعنى (ما عنتم) أي: عنتمكم ومشقتكم. والعنت هو المشقة والتعب، ويقال: (أكمة عنوت) أي تلة شاق صعودها.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: [ إنني آخذ بحجزكم من النار ] أي أمسك بالجهة التي هي محل الإزار. وقال صلى الله عليه وسلم: [ مثلكم كمثل الفراش الذي يتساقط على النار وأنا آخذ بحجزكم ... ].

فهم يؤذونه وهو يحبهم، ويقاطعونه وهو يحلم عليهم، ويجهلون عليه وهو يتأدب معهم، ويعذبونه وهو يقول: [ اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ].

ويوم أن عرض نفسه على أبناء عبد ياليل قال: [ فانطلقت على وجهي هائماً حتى وصلت إلى قرن الثعالب فقال جبريل: يا محمد هذا ملك الجبال قد أنزله الله إليك لتأمر أن يصنع ما تريد، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين ]، ( الجبل الأحمر وجبل أبي قبيس ) فكان جواب الرسول صلى الله عليه وسلم: [ أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً ] .

أي رحمة هذه!!! ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [ أوذيت في الله وما أوذى أحد ]، وقال أيضاً: [ من أصابه أذى أو مصيبة فليتأس بي ] . فلم يؤذ أحد من البشر كما أوذى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فهو يحلم عليهم ويدعو ربه أن يغفر لهم، حتى قال له الله سبحانه: ((اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)) (التوبة: 80).

وعندما تقدم ليصلي على عبد الله بن سلول قال له عمر رضي الله عنه: يا رسول الله تصلى عليه وقد فعل كذا وكذا وكذا!!! قال: يا عمر دعني فلقد خيرني ربي فقال: ((اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)) (التوبة: 80)

ولو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لزدت. فأبي رحمة مهداة إلى البشرية هذه؟!.

وقال عنه تعالى: ((بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)) (التوبة: 128)، قال الفضيل بن حسين: ما جمع الله لنبي باسمين من أسمائه إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم (رءوف رحيم)، وقال في آية أخرى: ((وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ)) (الحجرات: 7) يعني لأصابتكم المشقة، ولو كان الوحي كما تهوى نفوسكم وكما تريدون لأصابتكم المشقة والضلال والتعب والظنك. (76)

ومن هنا يجب أن نرأف بالناس أثناء الدعوة، خاصة دعوة الجهال الذين يأتون ببعض الشركيات والبدع، كتعليق التمام والاستغاثة بالمخلوق، فيجب الإنكار عليهم بالأساليب المناسبة. ويجب التعامل مع هؤلاء العصاة والجهال ومن يمارسون بعض الشركيات بالطريقة التي انتهجها خيار هذه الأمة قديماً وحديثاً، وهي متوسطة بين طريقة الحرورية. الخوارج - وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم، وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك طاعة الأمراء مطلقاً، وإن لم يكونوا أبراراً. (77)

## 13 بعد نظر قيادته β) خاصة عبر التنقل من مرحلة إلى مرحلة)

قال تعالى: ((وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)) (الأنعام: 52) وقال أيضاً: ((وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)) (الكهف: 28).

بهذا النص الكريم يوجه الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم إلى قاعدة التربية والبناء في الفئة الأولى التي كانت تتجمع حوله، وهو العليم الحكيم، يعلم أثر هذه النواة وما يتجمع حولها، من ثمار طيبة شهيّة، فيوجه الله سبحانه نبيه ويعلمه وهو يرى نبيه يميل إلى أن ينفرد بمجلس لعلية القوم من قريش وسدنتها، لأنهم كانوا يخشون أن يراهم العرب يجلسون مع الأعداء فيعيروهم، فكادت نفس رسول الله أن تميل إلى الاستجابة، فأنزل الله سبحانه هذا التوجيه الرباني، لأن منازل الناس عند رب العالمين غير منازلهم في موازين الناس، وقيمهم ومعاييرهم، فكم رجل يساوي ملء الأرض من رجل آخر، وهو في أعين الناس مبجل معظم موقر.

ولا بد للمسيرة التي تقود الركب أن تعتني بالفئة التي ترقب الآخرة، وتبتغي مرضاة ربها، لأن ترك الفقراء حوله -الذين يتجمعون على الفكرة التي جاء بها ويتربون على العقيدة - والحياة معهم خير بكثير من الحياة مع العلية الذين يطمع في إسلامهم، ويود إسلام الناس من وراء إيمانهم: ((وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)) (الكهف: 28) لأن إبعاد هؤلاء لا بد أن يكون لهدف من أهداف الدنيا، أو لغرض آخر غير الغرض الذي أخلصت له النفس، وصفت له الروح، وأفرد له العمل. كما يعني الاتجاه إلى أهل الدنيا (تريد زينة الحياة الدنيا) ثم يقول سبحانه: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) والذي غفل عن ذكر الله لا بد أن يكون قد اتبع هواه وأمره قد انفرط وحبله قد انقطع، وهو كالريشة في مهب الريح، لا يقف على قرار ولا تجد له استقرار.

ومن هنا كانت هذه الفئة التي يرببها الداعية - والداعية الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم - هذه التي نفعت المجتمع المسلم في كل أطواره وفي كل حركاته، وكانت القاعدة التي يفيء إليها الناس إذا فزعوا، ويلجأ إليها القوم إذا ارتبكوا، ويهرب إليها الناس حيث لا نجاة إلا بالله ثم بها.

ولقد أثبت التاريخ أهمية التوجيه الرباني للرسول صلى الله عليه، وهذه النظرة الثاقبة للقيادة النبوية بتوجيه ربه، والاهتمام بتربية الفئة التي كانت حوله، والصبر عليها وعدم إبعادهم من مجلسه، إرضاء لعلية القوم وزعامتهم، وكذلك عدم طاعة من أغفل الله قلبه وكان أمره فرطاً.

أثبت التاريخ أهمية هذه النظرة، وهذا التوجيه الرباني عندما اضطربت الجزيرة العربية كلها وخرجت من قبضة الإسلام والمسلمين تقريباً، ولكن بقي الزمام في قبضة الحفنة الصلبة التي رباها رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستقرت في المدينة، وأرجعت هذه الأمة النافرة إلى صوابها، وأعدت رشدها إلى رؤوسها، وأرجعت المرتدين إلى حظيرة الإسلام مرة أخرى. وذلك كله بفضل هذه الفئة من الصحابة الذين عاشوا حول قائدهم، حيث المحضن الدافئ الذي تنضج على حرارته النفوس، وحيث البؤرة المنيرة التي تهتدي النفوس على نور إشعاعها، وبفضل النور الذي تحمله في طيات صدرها.

فحياة القائد بين الجنود، وحياة الجنود حول قائدهم كانت مقصودة في شرع الله سبحانه، ولذلك اعتزل الرسول صلى الله عليه وسلم

بيت خديجة رضي الله عنها ليعيش بين الفئة الأولى في دار الأرقم، المحضن الذي نبتت فيه الفئة الأولى التي قام على أكتافها هذا الدين العظيم، وذلك للتربية ولما لعيش القائد بين جنوده من أثر بالغ في التربية، لأن النفوس بطبيعتها تتأس بالأمثلة الحية التي تعيش أمامها وتقتفي آثار الناس الذين يقودون المسيرة في معركتها.

والأحياء مؤثرون أكثر من الأموات، وإن كان سلف هذه الأمة لم يموتوا إلا أن طبيعة النفوس تتأثر بالأحياء الشاخصين أمامهم، بدمائهم وببشريتهم وخطوطهم وسلوكهم أكثر من الذين ماتوا قبل زمن طويل.<sup>(78)</sup> وهكذا ندرك بعد النظرة النبوية وأهمية التوجيه الرباني للقيادة النبوية.

والدعوة الإسلامية دعوة عملية، ودين الله عز وجل ودعوته مرحلية، والأمم لا تتغير بين يوم وليلة، وهناك قوانين ربانية لا بد من مراعاتها.<sup>(79)</sup>

فهو دين واقعي حركي جاد يواجه الواقع بوسائل مكافئة. يؤمن أن البشر لا يتغيرون بين يوم وليلة، والإسلام هو ناموس وقانون الله في الحياة، ونواميس الله في الحياة أن المجتمعات لا تتغير دفعة واحدة وبلحظة واحدة، أو بخطبة، بل تحتاج إلى سنوات طويلة،

ومن هنا كان القتال محرماً في مكة، وعندما قام للمسلمين كيان في المدينة أبيح للرسول صلى الله عليه وسلم، حتى يحوطها بالضمانات، حتى تنمو نمواً طبيعياً.

وأباح أن يقيم العهود مع اليهود، وهذا شيء طبيعي منطقي أن الدولة الإسلامية لا مانع أن تقيم عهداً مع أناس لا يحاربونها، لتتفرغ لقتال قريش، فأقام عهود سلام في المدينة مع اليهود، فلا يقاتلهم ولا يقاتلونه، حتى يتفرغ لقتال العدو الأساسي والحقيقي، الذي تنتظر الجزيرة العربية كلها هزيمته، فكانت الجزيرة العربية واقفة موقف المتفرج، فكان المسلمون لا يصلون خمسمائة رجل، فلا بأس إذن أن يقيم الرسول عهداً مع الآخرين، حتى اليهود، حتى إذا أزال هذه العقبة الكبيرة (قريش) من أمام الدعوة الإسلامية عندها من السهل أن يزيل العقبات الصغيرة أو الحجارة الصغيرة التي تعترضه.

ثم عقد صلح الحديبية مع قريش في السنة السادسة للهجرة، وسماه القرآن فتحاً: ((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا)) (الفتح: 1) فوافت قريش جانباً لا تقاتل الرسول صلى الله عليه وسلم، وبدأ الناس يدخلون في الإسلام، لأنهم كانوا يخشون من قريش، وقريش عاهدت

الرسول وقعدت عن قتاله، ففسح المجال أمام الذين كانوا يخافون من قريش وغضبها، ودخلوا في الإسلام.

وهكذا ندرك كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم بعيد النظر، ولكنه كان يمشي بتوجيه من ربه، كما قال للصحابه الذين اعترضوا على بنود صلح الحديبية: [ إنه أمر ربي ولن يضيعني ].

فإذا ذهب الخوف والرعب من الطواغيت حينها يدخل الناس في الدعوة، أما في الظروف الصعبة عند محاربة الطواغيت للدعوة لا يمكن أن يقف مع الدعوة إلا المستعد للموت والتضحية، من الرجال الذين يعرفون في حالات الشدة، بل الناس لا يجروون على مساعدة الدعوة ولو برغيف خبز لعائلاتهم.

ففي عهد عبد الناصر، عندما ألقت الحكومة المصرية بسيد قطب في السجن، ما كان أحد يستطيع أن يقرض آل قطب درهماً واحداً، في الوقت الذي لا تجد النساء (نساء آل قطب) ثمن الزيارة الأسبوعية التي يزرن بها سيد قطب ومحمد قطب، وقد سمعتهم بنفسي يقولون: (لقد تبرأ الناس منا، وذهبنا إلى أناس نستدين منهم - وهم أصحابنا - فقالوا لنا: نحن لا نعرفكم، لا تأتونا ولا نأتيكم)، لأنهم لا يجروون، من الرعب الذي كان يسيطر على الناس. (80)

## تلقي الصحابة رضوان الله عليهم الأوامر للتنفيذ

14

## والامثال

إن الحركة (الفئة) التي رباها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتقها ثقافة نظرية، وكان بالإمكان أن ينزل القرآن كاملاً في مكة، ويستوعب الناس حسب ذكائهم، ثم يتقون بالقرآن الكريم، وكان بالإمكان أن تعد قوانين في مكة كقوالب جاهزة مخزونة، حتى إذا قامت الدولة الإسلامية في المدينة طبقت هذه القوانين. ولكن هذا الدين دين عملي واقعي حركي جهادي جاد، ليس نظرية ثقافية، إنما هو دين يتعامل مع القلوب والنفوس، ويتعامل مع واقع الحياة. والثقافة (دون تطبيق عملي) مع طول الزمن تبدل الحس وتقسي القلوب، وتحول طاقاتهم إلى ما بينهم خلافات وتمزقات. (81)

فمن الذي يغير الواقع إذن؟!

هل الأكاديميات العلمية؟!!

أم المكتبات العامة؟!

أم العلماء الذين يجلسون على مكاتبهم؟!

لقد امتلأت رفوف المكتبات بالكتب، لكننا نريد كتاباً واحداً يمشي على الأرض، لقد امتلأت المطابع بالمصاحف، لكننا نريد مصحفاً واحداً يمشي على المعمورة، إن هذه المصاحف التي دبت على الأرض من لحم ودم هي التي غيرت الجيل، وهي التي تدفع الناس، وهي التي تربي الناس، وهي التي تقلب الأوضاع. (82)

فنحن نريد أن تنتقل الثقافة التي في الصدور والسطور إلى واقع عملي، كما كان الصحابة يتلقون النصوص للتنفيذ والتطبيق في حياتهم وواقعهم.

ومن هنا كان أهم ما جاءت به الأنبياء هو (توحيد الألوهية) وتوحيد الألوهية هو نقل التوحيد النظري من العقول والصدور والسطور إلى واقع منظور ومشهود، إلى حركات وسكنات وكلمات يتمثلها البشر في واقع العين، بسلوك وأخلاق ونماذج وقوانين يراها المجتمع، فيرون الله عز وجل من خلال تصرفاتهم، ولذلك جاء في الحديث الصحيح عن خير الناس: [هم الذين إذا رؤوا ذكر الله] (83).

وهذا التوحيد (توحيد الألوهية) هو نقل التوحيد النظري الذي هو (توحيد الربوبية) إلى واقع حي في حياة المسلم وفي دنيا المؤمن. فالرزق - مثلاً - معلوم أنه من الله سبحانه بتوحيد الربوبية، ولكن مواقف المؤمن هي التي تبين توحيد الألوهية وتوضحه في حياته، فإذا لم يستخذ ولم يستهن أمام قوة الطاغوت - التي تمتلك القوة، وتتحكم بلقمة عيشه اليومية التي هي في قبضة الطاغوت - والذي لا يهون ولا يقف ذليلاً مطأطأً رأسه أمام قوة الأرض - وهم يملكون خناقه بأيديهم، وحبل المشنقة يلوح أمام ناظره - فهذا الذي ينقل التوحيد النظري إلى توحيد عملي.

إن نقل التوحيد (توحيد الربوبية) من الصدور إلى واقع، ومن الكتب إلى حركات وأخلاق، هي مهمة الأنبياء، وهي مهمة العلماء وورثة الأنبياء بعد الأنبياء.

روي لنا عن الأستاذ البنا رحمه الله تعالى أن البشير الإبراهيمي جاءه يوماً من عند الملك فاروق، وقد سمع الملك فاروق وحاشيته يتآمرون على الأستاذ البنا فقال له: ((إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِيَّيْ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)) (القصص: 20)، فأجابه الأستاذ

البناء قائلاً: أهذا أنت؟! يعني هذا تفكيرك: ((إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)) (الطلاق: 3) ثم ردد البيتين:

أيُّ يومي من الموت أفرَّ      يوم لا قدر أم يوم قدر  
يوم لا قدر لا أرهبه      ومن المقدور لا ينجو الحذر

وحدثني حميدة قطب - شقيقة الأستاذ سيد قطب - وقد جاء التوقيع من عبد الناصر على إعدام سيد في اليوم الثامن والعشرين من أغسطس سنة 1966م، وألقي القرار إلى حمزة البسيوني وترك لحمزة البسيوني (مدير السجن) فرصة مراودة الأستاذ سيد إلى آخر رمق، قالت: فناداني البسيوني، وأطلعني على قرار الإعدام، ثم قال: لدينا فرصة واحدة لإنقاذ الأستاذ، هيا واذهبي إليه لعله يعتذر، ثم ينزل حكم الإعدام عنه ويخرج بعدها بعفو صحي خلال ستة أشهر.

تقول حميدة: فذهبت إليه وقلت له: إنهم يقولون إن اعتذرت فسيففون عنك حكم الإعدام ثم تخرج بعفو صحي، كما قال البسيوني، قالت: فنظر إلي متأملاً ثم قال: عن أي شيء أعتذر يا

حميدة؟! عن العمل مع الله؟! والله لو كنت أعمل مع غير الله لاعتذرت، ولكنني لن أعتذر عن العمل مع رب العالمين!! ثم قال: اطمئني يا حميدة، إن كان العمر قد انتهى فسيُنَفَّذَ حكم الإعدام، وإن لم ينته العمر فلن ينفذ حكم الإعدام، ولن يغني الاعتذار شيئاً في تقديم الأجل أو تأخيره!!

أي طمأنينة...؟! وأي سكينة...؟! وأي راحة نفسية...؟! وأي استقرار للقلب والضمير...؟! وأي هدوء للأعصاب والنفس... وحبل المشنقة يلوح أمام ناظره!..

يحدثها باطمئنان الواثق بربه، والمطمئن لقدره، والمؤمن بكتابه، الذي يعلم أنه ((وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا)) (آل عمران: 145).

وإلى قمة أخرى من القمم في التاريخ الإسلامي القديم، عندما جاء أحد الأمراء على باب العز بن عبد السلام يشهر سيفه ويرتعد غضباً، ويسأل ابنه: أين أبوك؟! فيدخل ويقول لوالده: إن الأمير يحمل سيفه على الباب ويرتعد غضباً يريد أن يقتلك، فيجيب الشيخ

الواثق بربه، المطمئن لقدره، الساكن لمشيئته، الراضي بإرادته، قال له: ( إن أباك أقل من أن يقتل في سبيل الله )!!! ثم خرج، وعندما قابلت هيبة الشيخ الأمير الذي يحمل سيفه اهتزت يده التي تحمل السيف حياءً وخوفاً من الشيخ، وسقط السيف من يده، ثم نزل على يدي الشيخ ورجليه يقبلها ويقول له: ماذا تريد مني يا سيدي؟! قال: نريد أن نطبق حكم الله، أنتم ممالك والولاية لا تتعقد لكم، لا بد أن تتحرروا ابتداءً، ثم بعد ذلك تتعقد لكم الولاية ونبايعكم، قال: كيف نتحرر؟ قال: تعرضون للبيع في السوق، ثم تشترون أنفسكم، ونقبض ثمنكم لبيت مال المسلمين، ثم بعد ذلك نبايعكم!!!.

ويمسك العز بن عبد السلام بأيدي الأمراء وفي السوق العام ينادي بأعلى صوته... أمراء للبيع...!!! ويدفع الناس بالأمراء أثماناً، ثم يشتري الأمراء أنفسهم، ويدفعون الثمن للعز بن عبد السلام، ويضعها في بيت مال المسلمين، ويعود الناس فيعيدون لهم البيعة بعد أن تحرروا من العبودية!!! (84)

## رابطة الأخوة والمحبة في الله (قاعدة الولاء

15

والبراء)

ففي صحيح مسلم: [ إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تتاصحوا من ولاة أمركم ].

إن الدعوات إنما تنتصر عندما تكون أصرة المحبة والأخوة هي الرابطة الوحيدة التي تسيورها، وبقدر ما يكون الحب بين أفرادها بقدر ما تنتزل الرحمة عليها من ربها، وفي الحديث: [ أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله ]، وعن ابن عباس: [ وهل الإيمان إلا الحب في الله والبغض في الله ].

والحب هو الذي يدفع النفس للطاعة والتضحية، ويحفزها للتنفيذ والعمل، وإذا فقدت الجماعة هذا العنصر المحرك لها عادت كشركة اقتصادية يتعامل فيها الأفراد مع مسئوليتهم كما يتعامل عمال الشركة مع مديريها وينفذون أوامره بتناقل، بل بعضهم لا يحب أن يراه ولا يسمع إليه ولو لمجرد كلمة، وصدق الله العظيم: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا

مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ)) (آل عمران: 159)، فهو يمن على رسوله صلى الله عليه وسلم أنه لين قلبه لجنوده وأتباعه، ولو استعمل معهم الألفاظ القاسية، والكلام الجافي لانفضوا من حول النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ويقول رب العزة: ((وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبِضْرِهِ وَإِلَ الْمُؤْمِنِينَ (62) وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)) (الأنفال: 62-64).

فالله سبحانه هو الذي يوجه القلوب، فهي بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء، وهو الذي يوجهها حيث يشاء واطلع عليها علام الغيوب سبحانه، فإن علم فيها صدقاً وإخلاصاً ملأها حباً له ولسوله صلى الله عليه وسلم ولعباده الصالحين، وإن كانت غير ذلك - والعياذ بالله - ملأها حقداً وحسداً وهوى وضغينة ورياءً.

والله سبحانه يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: إنه يكفيك الله والمؤمنين حولك كما ذهب إليه كثير من المفسرين، وذهب بعض المفسرين كابن القيم إلى أن المعنى (يكفيك الله ويكفي المؤمنين الله).

وهزيمة الجماعات والأمم إنما تأتي من الخلل في صفوفها، ومن الذنوب التي تظهر في أبنائها، ولذا فقد كان تعقيب القرآن على هزيمة أحد سنة 3 هـ.

((وَأَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (آل عمران: 165).

((إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)) (آل عمران: 155)، ((وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)) (آل عمران: 152).

وقد علق ابن مسعود رضي الله عنه على الآية: (فقال ما كنت أظن أن أحداً من الصحابة يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية)، والآيات في الموضوع متوافرة جداً ولا أستطيع استقصاءها في مثل هذا المكان، ولكن أريد أن أشير إشارات فقط:

1- الحب في الله هو عنوان فلاح الجماعات والأمم.

2- التنازع والخلافات الداخلية هي سبب الهزائم، يقول الأستاذ البنا رحمه الله: ( أيها الإخوان: والله لا أخشى عليكم الدنيا مجتمعة، ولكن أخشى عليكم أحد اثنين، أن تتسوا الله فيكلكم إلى أنفسكم، أو تتسوا إخوانكم فيصبح بأسكم بينكم شديداً.

3- علمنا الإسلام أن نقول الحق ولو على أنفسنا ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ)) (النساء: 135)، ((وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)) (المائدة: 8).

4- إن الهوى هو سبب الفساد في الأرض ((وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَ هُم لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ)) (المؤمنون: 71).

[ إن أخشى ما أخشاه عليكم... ومضلات الهوى، وفي رواية ومضلات الفتن ] وفي الحديث: [ ... حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ] والإعجاب بالرأي غالباً ناشئ عن الهوى، لأن صاحبه يرى نفسه أنه أفهم أو أعلم أو أحكم من غيره، ومن هنا ينشأ الإعجاب بالرأي والإصرار عليه، ومحاولة الآخرين بين الفينة والأخرى للاقتناع به ويزين لهم الأمر وتلطيخ صورة الرأي الآخر حتى ينجح الرأي المعجب به صاحبه.

5- علمنا الإسلام أن نعرف الفضل لبعضنا ((وَلَا تَتَسَوُا الْفُضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)) (البقرة: 237).

ولقد عرف السلف الفضل لأهل السابقة في الإسلام ، وأنزلها الله وحياً يتلى: ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)) (التوبة: 100).

((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)) (الحشر: 10).

قال الشافعي عن أحمد: (ولقد خرجت من بغداد وما خلفت فيها رجلاً أروع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد بن حنبل)، وقال:

قالوا يزورك أحمد وتزوره      قلت المكارم لا تفارق منزله  
إن زارني فبفضله أو زرتة      ففضله فالفضل في الحاليين له

وقال أحمد عن الشافعي: ( ما دعوت الله منذ ثلاثين عاماً إلا ودعوت للشافعي، وكان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن، فهل عن هذين من غنى ).

فيمثل هؤلاء تقوم الأمم وتنتصر الجماعات، وعلى أمثالهم تتآلف القلوب وتلتقي الأفئدة. (85)

ومن هنا كانت عقيدة الولاء والبراء من العقائد التي قام عليها الإيمان، ولا يقبل الإيمان من أحد ولا تتحقق شهادة أن ( لا إله إلا الله ) إلا بها.

قال تعالى: (( لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ )) (المجادلة: 22).

## مفهوم الولاء والبراء اصطلاحاً:

عقيدة الولاء والبراء هي عقيدة ( لا إله إلا الله ) ولن تتحقق هذه الشهادة إلا بتلك العقيدة، وتعني في المفهوم الاصطلاحي: الحب في الله والبغض في الله، الحب لكل مسلم والنصرة لكل مسلم، ودفع الدم رخيصةً للدفاع عن الإسلام وأرضه. وبالمقابل العداء للكافرين وبغضهم، وعدم التشبه بهم، والتبرؤ منهم ومحاربتهم ومنازلتهم في الميدان الفكري والثقافي والعسكري.

و لذلك فالذي يدعي الإسلام ولا يعيش مع المسلمين آلامهم، ولا يحب لحبهم، ولا يبغض لبغضهم، ففي دينه شك، وفي عقيدته دخل، وقد يكون خارجاً عن إطار هذا الدين بالكلية!!.

ولقد ظهرت هذه العقيدة واضحة وضوح الشمس في مجتمع المدينة المنورة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عندما كان الرجل يقتل أباه المشرك أو أخاه المشرك تقرباً إلى الله عز وجل في ساحات القتال.

ولقد نزلت الآيات السابقة في أبي عبيدة رضي الله عنه عندما قتل أباه في معركة بدر، وهذا يوضح لك القمة السامقة التي ارتقى إليها هؤلاء من خلال تربيتهم على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعندما قتل محيصة بن مسعود زعيم بني قريظة ( ابن شينة ) قال له أخوه الكبير وكان كافراً: يا محيصة ما أقسى قلبك، قال محيصة: لقد أمرني من لو أمرني بقتلك لقتلتك!!؟.

فلم تعد مكة أو المدينة أو الجزيرة العربية أو القرابة هي الرابطة في هذا المجتمع، إنما هي العقيدة وحدها بعد أن كانوا غارقين في الحضيض، مجتمعين حول الكأ وداخل السياج القبلي، الذي كان يعبر عنه دريد بن الصمة:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد

فانتشلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعهم في القمة السامقة لهذا الدين، فسادوا العالم به بعد أن صفت النفوس وتجردت من كل الحظوظ الشخصية.

إن الصّلات في المجتمع المسلم قائمة على المحبة والمودة والموالاة والنصرة، وكلها مبنية على كلمة التوحيد، فكل من ارتبط بهذه الكلمة فهو أخي، أنا منه وهو مني، دون وشيخة أخرى أو رابطة أخرى، سواء كان لون جواز سفره كلون جوازي أو شابهنني في البشارة أم لم يشابهنني.

الرابطة هي الإيمان، والوشيجة هي التقوى، والهدف هو الجنة، والغاية هي رضا الله سبحانه.

ولقد مر مصعب بن عمير رضي الله عنه على أخيه وهو في يد عبد الرحمن بن عوف أسيراً، فقال مصعب: شد على أسيرك، فقال له أخوه الأسير: يا أخي أتقول له هكذا، فقال له مصعب: إنه أخي من دونك ((فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ)) (التوبة: 114)!!

وعندما رأى أعداء الله أن هذه العقيدة (الولاء والبراء) هي السبب في تجمع المسلمين وقوتهم بدءوا يحاولون تجميع المسلمين حسب اللون أو حسب العرق أو حسب الأرض أو الجنس، فظهرت القوميات النتنة التي تنتقز النفوس من رائحة نتنها ((ضَرَبَ اللَّهُ

مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ)) (التحریم: 10).

وبدأت بذور القومية على يد خمسة من الشباب النصارى (ناصرى اليازجى، وشاهين مكاريوس، ويعقوب صروف، والبستاني... وغيرهم) يجمعون الناس في مستتق القومية العربية الننتة.

ولذا فقد كانت القومية العربية هي السبب في انهيار الخلافة العثمانية على يد الشريف حسين وابنه فيصل، بعد أن لعب الإنجليز في عقولهم ودخلوا عليهم من هذا الباب.

وغرق المسلمون في وحل القومية، وتمزقت الأمة شذر مذر على هذا الأساس وبدأت الحركات الإسلامية تحاول تجميع الناس من جديد، وأن تنتشلهم من هذا الوحل الهابط إلى قمة هذا الدين السامقة، يستروحون شذا العطر، إلا أنها لم تستطع أن تصل بهم إلى تلك القمة، ولا زال كثير من أصحاب الدعوة الإسلامية متأثرين

بهذه القومية، فهو مصري يريد أن ينصر الإسلام في مصر فقط، وليس له علاقة بما عداها. وقس عليه بقية البلاد الإسلامية.

إن عقيدة الولاء والبراء غير واضحة تماماً في أذهان المسلمين، إننا نسعى لإقامة دين الله في أي مكان وعلى أي أرض، ولا بد أن نتحرر من قيود القومية والوطنية، ولا بد أن ننسى لون جواز السفر لننطلق بهذا الدين حيث كان حتى نصل إلى مجتمع إسلامي في أي مكان يتجمع الناس فيه.

تحاب في الله مطلق وبغض في الله مطلق. لأن عقيدة الولاء والبراء هي محبة الله ومحبة كل شيء يحبه الله، وأن نبغض كل شيء يبغضه الله.

يقول ابن تيمية: ( ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا يمكن محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذه حقيقة لا إله إلا الله، وهي ملة إبراهيم الخليل وسائر الأنبياء، أما شقها الثاني - محمد رسول الله - فمعناه تجريد متابعة رسول الله فيما أمر والانتهاه عما نهى عنه وزجر ).

وفي الحديث الصحيح: [ إن من عباد الله لأناس ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله تعالى، قالوا: تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، و الله إن وجوههم لنور وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) الآية ]. وفي الصحيح: [ أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله ].

وفي الصحيح: [ حقت محبتي للمتتاصحين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ، المتحابون على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء ].

وعقيدة الولاء والبراء تعني نصره المسلم في أي مكان والوقوف معه في أي أرض إن عرفنا أنه على الحق، إن هناك صور كثيرة تبين غيب هذه العقيدة في أذهان المسلمين، منها تجمع الناس تحت رايات وشعارات مرفوعة باسم الوطن وباسم القوم وباسم الجنس وباسم العلمانية.

لكننا نقولها - بوضوح - : إن الذين يتجمعون تحت شعارات غير إسلامية وينافحون عنها يخرجون من دين الله وهم لا يعلمون، فإن وقف من يدعي الإسلام مع هذه الشعارات — أياً كانت وتحت أي اسم كان . ونافح عنها ودافع عنها فإنه يخرج من دين الله!!.

فانظر إلى قوله تعالى وهو ينادي نوحاً عليه السلام ويعلمه بانقطاع وشيجة الصلة بينه وبين ابنه — بعد أن طلب من الله عز وجل أن ينجي ابنه - : ((قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)) (هود: 46).

ثم انظر إلى نوح وهو يعلن توبته من هذا الخطأ الذي زلت به قدمه: ((قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (هود: 47).

(وهل الإيمان إلا الحب في الله والبغض في الله، من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله، فبذلك تتال ولاية الله ولا تتال ولاية الله إلا بذلك).

إن الآيات التي تكلمت عن الولاء والبراء ومحبة المؤمنين ومعاداة الكافرين أكثر من الآيات التي تكلمت عن الأركان الخمسة، لأن هذه العقيدة هي أول مقتضيات (لا إله إلا الله) ومن مستلزماتها التي لا تتفك عنها، ومتى استقرت هذه العقيدة في القلوب لا بد أن تتحول إلى أفعال وحركات.

يقول الشيخ ابن عتيق: (ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة ولا أبين من هذا الحكم (الولاء والبراء) بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده) (86).

ومن هنا لا يمكن لمن يؤمن بعقيدة الولاء والبراء أن يدخل في حزب قومي كالقوميين العرب، ولو كان قاداته من المتمسكين، فكيف إذا كانوا نصارى !!؟

ولا يمكن أبداً لمن يؤمن بعقيدة الولاء والبراء أن ينطوي في سلك الماسونية أو أن يكون جاسوساً للمخابرات الأمريكية أو الروسية، أو أن يكون مخابرات لجهة تحارب الإسلام، أو مخابرات لطاغوت يكيد للحق ويحارب أهله وأولياء الله، ويوالي الشيطان في كل مكان. (87).

قال تعالى: ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)) (الأعراف: 199)، (خذ العفو) خذ منهم ما يمكن أن يبذلوه من طاقاتهم، ولا تكلفهم عننا فتخرجهم، ولا تثقل عليهم فتبعدهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يختار الناس أو يكلفهم مع الإشفاق. وعندما أراد ليلة الخندق أن يرسل واحدا قال: [ من يذهب وينظر إلينا القوم ثم يعود وأتكفل له بالجنة ] فلم يتحرك أحد وفيهم أبو بكر وعمر ثم أعاد الثانية ثم أعاد الثالثة فعندما وجد أنه لا مناص له من تسمية واحد قال: (قم يا حذيفة)، قال حذيفة: ولقد قمت وأنا ألبس مرطا لزوجتي وأرتجف من البرد، فسرت وكأنما أسير في حمام. (88)

فاختار (سعد) للقيادة، واختار (مصعب) للدعوة، واختار (بلال) للأذان واختار (أبي) للقرآن، واختار (أبا بكر وعمر) للاستشارة، واختار (حسان) للشعر، وكان يضع كل واحد في مكانه الذي يليق به. ويقول لحسان: [ نافح أو اهجهم وروح القدس معك ]... ما كان يختار حسانا لقيادة المعركة وما كان يختار سعدا للشعر، فكان يضع كل واحد في مكانه الحقيقي... (89)

واستغلال الطاقات البشرية وتوجيهها من القضايا المهمة جداً، وخاصة الأذكىاء منهم، فيجب أن ننظر أي الجوانب أهم وأخطر في حياة الأمة الإسلامية، فنوجه إليها الأذكىاء والعقول النظيفة، لينتفع المسلمون بهذه الطاقات.

ولا شك أن الشريعة الإسلامية والدراسات الإسلامية، وأقسام الدراسات الإنسانية والأدبية - بشتى تخصصاتها - كعلم الفلسفة وعلم النفس والتاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد والسياسة، هي أهم العلوم التي تؤثر في حياة الأمة، لأن أصحاب هذه التخصصات والعلوم هم الذين يغيرون المجتمعات وهم الذين يغيرون العقليات.

وقد انتبه أخيراً لهذه القضية المهمة والخطيرة (ميشيل عفلق) عندما استلم وزارة التربية والتعليم في سوريا عدة أشهر فقط، فأخذ البعثيين وأرسلهم بعثات إلى (السوربون)، ووجههم إلى دراسة الفلسفة وعلم النفس والتاريخ والاقتصاد والسياسة، ولم يوجههم إلى دراسة الطب والهندسة وغيرها من التخصصات العلمية المعروفة، وذلك لأن المهندس والطبيب لا يغير العقليات ولا يغير المجتمعات. فالمهندس -مثلاً - غارق في النظريات الهندسية مشغول بأمور مادية جانبية، ليس لها تأثير في بناء الجيل، ولا يستطيع أن يقدم

لبناء الأجيال وتوجيه عقلياتهم، وكذلك بقية التخصصات العلمية كالكيمياء وغيرها، لأنه لا يستطيع أن يفلسف النظريات العلمية، فهي غير قابلة للتلاعب والتغيير، وسواء درسها مسلم أو نصراني لا يستطيع أن يغير قوانينها.

أما المؤرخ والذي درس علم التاريخ فإنه يستطيع أن يفلسف التاريخ كما يريد ويهوى، فيستطيع المؤرخ أن يشوه ما شاء من وقائع التاريخ، ويحسن ما شاء من جوانب التاريخ ووقائعه، فهو يهتم ببناء العقليات والنفوس.

وبالفعل رجعت هذه العقليات التي درست هذه التخصصات من العلوم الإنسانية والأدبية، واستلمت الجامعات وتوجيه الجيل.

واليهود في أمريكا وغيرها انتبهوا لهذه القضية المهمة والخطيرة، فوجهوا أبناءهم وأتباعهم لاستلام أقسام الدراسات الشرقية والدراسات الإسلامية (كاللغة والتاريخ والاقتصاد وغيرها).

ومن هنا لا بد من توجيه الطاقات البشرية الإسلامية والعقول الفذة باتجاه الكليات الشرعية والدراسات الإسلامية، حتى يكون لديهم قدرة

على فهم النصوص الشرعية، ويخرج لنا أمثال أبي حنيفة والشافعي، حتى ينفع الله بهم الإسلام والمسلمين.

ومع الأسف فإننا لا نجد - غالباً - في الكليات الشرعية إلا كل موقوذة ومرتدية ونطيحة وما أكل السبع<sup>(90)</sup>، لأن دين الله رخيص إلى هذا الحد عند المسلمين في هذا الزمان، وبالتالي تخرج هذه الكليات - بهذه النماذج الضعيفة - من لا يعرف الصلاة الإبراهيمية ولا يعرف أركان الحج ومحظوراته ولا يعرف متى وكيف تقصر الصلاة في السفر.<sup>(91)</sup>

وكان بالإمكان أن تجنب هذه النماذج الضعيفة التخصصات الخطيرة والمهمة إلى أعمال أخرى يوازي قدراتها وإمكانياتها، لعلها تنفع في مجالات أخرى.

وهكذا نستطيع أن نستغل الطاقات البشرية ونوجهها وننتفع بها، كل حسب قدرته وطاقاته وعقليته.

## هذا الكتاب

يتناول أهم قضية ينبغي الالتفات إليها ومراعاتها، من قبل كل من أراد أن يربي الجيل على مائدة هذا الدين، وكل من كان همه إعادة شريعة سيد المرسلين.

فهناك أسس وقواعد ربي عليها وبها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه حتى حققوا المعجزة التربوية، فخرج جيل فريد لم يتكرر في تاريخ البشرية، ولا يزال مصدر إعجاب وانبهار لكل من له أدنى معرفة ودراية في التربية وأساليبها وحدود القدرة البشرية في هذا المضمار.

ومن خلال دراسة الشيخ الشهيد د. عبد الله عزام للسيرة النبوية خلص بهذه الأسس التي وجدناها متناثرة في موضوعاتها بين مؤلفاته وخطبه ودروسه ومحاضراته، فقمنا - مستعينين بالله - بجمعها وتنسيقها.

ولا أظن أحداً - يدري ما يصنع - يستطيع أن يتجاوز هذه الأسس والقواعد أثناء تربيته لأي مجموعة يريد منها أن تنهض بالأمة وتحاول إعادة هذا الدين من جديد.

معد الكتاب

د. أحمد سعيد عزام "أبو عبادة"

جنين - فلسطين

## المصادر والمراجع

- (1) رواه البخاري (انظر صحيح الجامع الصغير 2294).
- (2) رواه أحمد والبخاري ومسلم (انظر صحيح الجامع الصغير 72100).
- (3) رواه مسلم في صحيحه.
- (4) جزء من حديث رواه أحمد في المسند كما في تفسير ابن كثير.
- (5) رواه أبو يعلى والترمذي (انظر تفسير ابن كثير 4 / 738).
- (6) قصة ابن أبيرق أخرجها الترمذي والحاكم والطبراني في الكبير وغيرهم، أنظر تفسير ابن كثير ( ج 2/ 246 ).
- (7) القصة صحيحة مشهورة أصلها في صحيح البخاري.
- (8) في التربية الجهادية والبناء / المجلد الأول ( ص 1-7).
- (9) حديث صحيح رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وابن عساكر وقال الهيثمي (رجال الطبراني رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز ووثقه) (انظر حياة الصحابة 1/244).
- (10) انظر مختصر السيرة للإمام محمد بن عبد الوهاب ص(88).
- (11) في التربية الجهادية والبناء / المجلد الأول ( ص 7).
- (12) الذخائر العظام المجلد الثاني / ص 774 من كتاب (الإسلام ومستقبل البشرية).
- (13) في التربية الجهادية والبناء / المجلد الأول ( ص 8-9).
- (14) ( القاموس المحيط ، فصل العين ج 1 ص 315 ).
- (15) مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني (2/162).

- (16) حديث حسن صحيح، رواه الترمذي عن ابن عباس مرفوعاً، انظر شرح الأربعين نووية ط قطر ص 72.
- (17) موسوعة الذخائر العظام المجلد الأول (ص 5-10) من كتاب (العقيدة وأثرها في بناء الجيل) بتصرف.
- (18) في التربية الجهادية والبناء / المجلد الثاني (ص 75) من شريط (263) تحت عنوان (أضواء على التربية والبناء).
- (19) أحكام القرآن لابن العربي (291/1).
- (20) تفسير القرطبي (159/4).
- (21) أحكام الجصاص (214/2).
- (22) تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير لنسب الرفاعي (484/1).
- (23) من كتاب (حكم العمل في جماعة (ج 1/ 610-617) موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الإمام الهمام) الشهيد عبد الله عزام.
- (24) في التربية الجهادية والبناء / المجلد الأول (ص 9-10).
- (25) الذخائر العظام المجلد الأول (ص 806) من كتاب عملاق الفكر الإسلامي.
- (26) حديث صحيح رواه أحمد وصححه الألباني في كتابه (حجاب المرأة المسلمة).
- (27) في التربية الجهادية والبناء / المجلد الأول (ص 9-10).
- (28) مفهوم الحاكمية في فكر الشهيد عزام / إعداد أبو عبادة الأنصاري (د. أحمد سعيد عزام) وستجد الكلام في هذا الموضوع مفصلاً في كتاب (في خضم المعركة ص 36) وكتاب (كلمات من خط النار

الأول تحت عنوان — المؤامرة الكبرى — ( ص 72 ) وشريط ( الولاء والبراء ) .

(29) مفهوم الحاكمية في فكر الشهيد عزام / إعداد أبو عبادة الأنصاري (د. أحمد سعيد عزام ) ( ص 1- 40 ) بتصرف واختصار ، وستجد الكلام في هذا الموضوع مفصلاً في كتاب ( العقيدة وأثرها في بناء الجيل، ومقال ( إن الحكم إلا لله ) في كتاب ( في خضم المعركة ) وفي ظلال سورة التوبة شريط (رقم 60)، و (رقم 78)، و (رقم 56). (30) رواه البخاري في صحيحه.

(31) هذا نص حديث روته السيدة عائشة وأخرجه مسلم في صحيحه.

(32) في التربية الجهادية والبناء / المجلد الأول (ص 10-12).

(33) الروض الأنف (191/2).

(34) من كتاب / أريد أن أتحدث إلى الإخوان - لأبي الحسن الندوي (ص 27).

(35) الذخائر العظام المجلد الأول (ص 775) نقلاً عن كتاب (الإسلام ومستقبل البشرية).

(36) التربية الجهادية والبناء / المجلد الثاني (ص 416) تحت عنوان (مباهج الصبر). شريط (رقم 127).

(37) رواه مسلم.

(38) رواه مسلم بدون زيادة ( إن لله رجالاً ) أنظر مختصر صحيح مسلم (ص466)، رقم الحديث (1683).

- (39) في التربية الجهادية والبناء - المجلد الأول (ص 310-316) تحت عنوان ( الموازين الربانية ) شريط (رقم 34) بتصريف.
- (40) في التربية الجهادية والبناء / المجلد الأول (ص14-15).
- (41) في التربية الجهادية والبناء / المجلد الأول (ص15).
- (42) مدينة باكستانية حدودية كان المهاجرون والقادة الأفغان يتجمعون فيها.
- (43) رواه البخاري.
- (44) ( في التربية الجهادية والبناء المجلد الثاني (ص 58-66) تحت عنوان القيادة الناضجة شريط (رقم 213) ).
- (45) في الجهاد فقه واجتهاد (ص 187) تحت عنوان ( الشهداء وقاعدة دفع الصائل ) بتصريف.
- (46) صحيح الجامع الصغير(292).
- (47) رواه البخاري في صحيحه.
- (48) حديث صحيح رواه أبو داوود وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة بنحوه رقم (422).
- (49) في التربية الجهادية والبناء / المجلد الأول (ص15-16).
- (50) رواه البخاري.
- (51) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.
- (52) الذخائر العظام (ص 123-126) من كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) وهناك أدلة كثيرة ساقها الشيخ في كتابه.

- (53) صحيح الجامع الصغير (2828) للألباني.
- (54) رواه أبو داوود وهو صحيح.
- (55) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (958) رواه أحمد بإسناد جيد وأبو داود وهو حديث صحيح.
- (56) الذخائر العظام (ص 123-126) من كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان).
- (57) نهاية المحتاج (16/8).
- (58) (2-275) وصححه ووافقه الذهبي.
- (59) (القرطبي 349/5).
- (60) (تاريخ دمشق لابن عساكر 1790/2).
- (61) (عبد الله بن المبارك /د. المحتسب).
- (62) (ترتيب المدارك، للفاضل عياض 239/2).
- (63) (تهذيب الأسماء واللغات 231/1).
- (64) (المشوق في الجهاد 77).
- (65) (تهذيب التهذيب لابن حجر 14/1).
- (66) (المشوق في الجهاد).
- (67) الذخائر العظام (183-185) من كتاب (إحق بالقافلة).
- (68) في الجهاد فقه واجتهاد (ص 165) محاضرة بعنوان (التجنيد الإيجابي).
- (69) التربية الجهادية (246/2).

- (70) أضفنا هذه الآيات لأن الشيخ أشار إليه في قوله: ( ولن يغلب عسر يسرين )، حتى يفهم القارئ مراد الشيخ من العبارة.
- (71) التربية الجهادية والبناء (ج1/350) شريط ( بشرى للصابرين ) والمجلد الثاني أيضاً (ص 90) شريط ( الأمل العريض ).
- (72) كلمات من خط النار الأول (ص 16-18) نشرت في نشرة لهيب المعركة تحت عنوان ( قانون ثابت ) العدد 28 بتاريخ 1988/12/3م
- (73) كلمات من خط النار الأول (ص 330-331) تحت عنوان ( رسالة مفتوحة إلى العلماء .
- (74) رواه البخاري عن أنس.
- (75) في التربية الجهادية والبناء المجلد الثاني (437-446) شريط (نماذج خالة).
- (76) في ظلال سورة التوبة (510- 511) شريط (رقم 92).
- (77) في ظلال سورة التوبة (ص 233- 239) باختصار وتصرف شريط (رقم 67).
- (78) في التربية الجهادية والبناء المجلد الثاني (ص 58-61) شريط رقم 213 بتصرف.
- (79) في ظلال سورة التوبة (ص54).
- (80) في ظلال سورة التوبة (ص 49-54) من شريط (رقم 50-51) بتصرف.
- (81) التربية الجهادية والبناء المجلد الثاني (216) شريط (رقم 153) تحت عنوان ( الطريق إلى المجتمع المسلم ) بتصرف.

- (82) التربية الجهادية والبناء المجلد الثاني (ص 177) شريط (رقم 8) بعنوان (الغرباء).
- (83) رواه أحمد وفيه شر بن حوشب وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي / الجزء الثامن (ص 96)، والترغيب والترهيب (ج3/499).
- (84) التربية الجهادية والبناء المجلد الثاني (ص 355) شريط (رقم 112) تحت عنوان ( بين مجتمع التوحيد ومجتمع الانحلال ).
- (85) الذخائر العظام المجلد الأول (ص 1001). من ( وثيقة إلى الإخوان المسلمين في الأردن ).
- (86) أنظر الولاء والبراء للقحطاني.
- (87) مفهوم الحاكمية في فكر الشهيد عزام 84 وما بعدها / إعداد أبو عبادة الأنصاري ( د. أحمد سعيد عزام ) نقلا عن كتاب ( في خضم المعركة ص 36 ) وكتاب ( كلمات من خط النار الأول تحت عنوان . المؤامرة الكبرى . ص 72 ) وشريط ( الولاء والبراء ).
- (88) رواه مسلم بنحوه.
- (89) في التربية الجهادية والبناء / المجلد الأول (ص13).
- (90) إشارة إلى قوله تعالى: ((حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع...)) (المائدة:3). ويعني بها الشيخ نماذج ضعيفة هزيلة ساقطة من الناحية العلمية والذكاء والنباهة.
- (91) في ظلال سورة التوبة (ص 316-318) عند تفسير الآيات (60-66). باختصار وإعادة ترتيب وصياغة للعبارات والجمل من جديد.

## الفهرس

الصفحة	الموضوع	م
1	مقدمة	1
5	تمهيد	2
9	فوائد معرفة المنهج النبوي في التربية	3
12	الأساس الأول: قصر التربية على المنهج الرباني	4
16	الأساس الثاني: تجريد الدعوة من المنافع الدنيوية	5
19	الأساس الثالث: الابتداء بالبناء العفدي للفئة المؤمنة، ثم البناء التشريعي	6
36	الأساس الرابع: تمثل التربية منذ اللحظة الأولى في تجمع حركي	7
40	الأساس الخامس: وضوح الرؤية وتميز الهدف دون اختلاط ولا لبس	8
47	الأساس السادس: بناء القاعدة الصلبة التي حملت البناء كله	9
57	الأساس السابع: وزن الأشخاص بالميزان الرباني (بالتقوى)	10
66	الأساس الثامن: التربية من خلال الأحداث والحركة الواقعية	11
75	الأساس التاسع: الجهاد	12

م	الموضوع	الصفحة
13	الأساس العاشر: غرس الثقة بنصر الله في أعماق النفوس	90
14	الأساس الحادي عشر: الأسوة الحسنة والقيادة العملية بالتطبيق	97
15	الأساس الثاني عشر: الرفق والإشفاق دون العنت والإشفاق	104
16	الأساس الثالث عشر: بعد نظر قيادته صلى الله عليه وسلم (خاصة عبر التنقل من مرحلة إلى مرحلة)	107
17	الأساس الرابع عشر: تلقي الصحابة رضوان الله عليهم الأوامر للتنفيذ والامتثال	113
18	الأساس الخامس عشر: رابطة الأخوة والمحبة في الله (قاعدة الولاء والبراء)	119
19	الأساس السادس عشر: الاستفادة من جميع الطاقات وتوجيهها	134
20	هذا الكتاب	138
21	المصادر والمراجع	139
22	الفهرس	146

\* ملاحظة: لمزيد من الاستفادة يمكنكم مطالعة " موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الإمام الهمام الشهيد د. عبد الله عزام " (المجلدات الأربعة).

\* للتواصل مع معد الكتاب من خلال صفحته الرسمية على  
الفيسبوك على العنوان التالي: (د. أحمد سعيد عزام)  
[www.Fb.com/dr.ahmazzam](http://www.Fb.com/dr.ahmazzam)

محفوظة  
جميع الحقوق